كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بدمياط الجديدة
المجلة العلمية
العدد (١١) ديسمبر ٢٠٢٢م

فتح العليم في قواعد التعليم
دراسة موضوعية
في ضوء السنة النبوية

الدكتور
شاكر عبد المنعم محمد رشوان
مدرس الحديث وعلومه
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين
بدمياط الجديدة

الملخص باللغة العربية والإنـجليزية

ملخص البحث:

التعليم ركن أساسي من أركان نهضة الأمم والحضارات، وهذا البحث -(فتح العليم في قواعد التعليم دراسة موضوعية في ضوء السنة النبوية)- يلقى الضوء على أهم القواعد التي وضعها النبي صلى الله عليه وسلم لتعليم جيل الصحابة والأمة من بعدهم، وكيف أنه صلى الله عليه وسلم أخرج جيلا رائد؟ وحولهم من رعاة للغنم، الى سادة للأمم، وأخرهم من ظلمة الجاهلية الى نور الإسلام والعلم، وجعلهم دعاة وفقهاء ومعلمين على أعلى مستوى من الكفاءة، حيث أن أحدهم تشد الرحلة إليه شهرا أو كثر ليؤخذ عنه العلم.

كما يلقى الضوء على هذا الدرر الثمينة لكنوز السنة النبوية، وتلك الجملة العظيمة من الآداب سواء للمعلم أو المتعلم، وكذلك الأصول المنهجية للعملية التعليمة والأثار المترتبة عليها، مع ابراز القيمة المعرفية لتلك القواعد والأصول وذلك من خلال السنة النبوية المطهرة على صاحبها أفضل الصلوات واتم التسليم.

الكلمات المفتاحية: التعليم، قواعد، السنة، مناهج، أصول

Abstract:

Education is an essential pillar of the renaissance of nations and civilizations، and this research - (Fatah Al-Alim in the rules of education is an objective study in the light of the Prophetic Sunnah) - sheds light on the most important rules set by the Prophet may God bless him and grant him peace، to teach the generation of the Companions and the nation after them، and how he، may God bless him and grant him peace Peace be upon him brought out a pioneer generation?

He transformed them from shepherds of sheep to masters of nations and lasted them from the darkness of ignorance to the light of Islam and knowledge، and made them preachers، jurists and teachers at the highest level of competence، as one of them takes the journey to him for a month or more so that knowledge may be taken from him.

It also sheds light on these precious pearls of the treasures of the Prophetic Sunnah، and that great sentence of etiquette، whether for the teacher or the learner، as well as the methodological principles of the educational process and its implications، while highlighting the cognitive value of those rules and principles، through the purified Sunnah of its owner، the best prayers and the completion of delivery

Keywords: education، rules، the Sunnah، curricula، assets.

مـــقـــدمـــة:

إن الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل الله فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}(١). **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء و اتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا}**(٢). **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}**(٣).

أما بعد

فإن من أقوى الأدلة على خاتمية رسالة الإسلام وعالميتها، وصلاحيتها لكل زمان ومكان، هو صياغة النصوص القرآنية والنبوية على جهة الإطلاق والعموم المقتضيَيْنِ

---

(١) سورة آل عمران آية رقم (١٠٢)

(٢) سورة النساء آية رقم (١)

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان(٧١، ٧٠) وهذه مقدمة خطبة الحاجة وكان النبي ﷺ يعلمها أصحابه، وقد أخرجها: أبو داود في السنن، كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح ٢٤٥/٢ ح رقم (٢١١٨)، والترمذي في الجامع، كتاب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح ٤١٣/٣ ح رقم (١١٠٥)، وقال: هذا حديث حسن، والنسائي في الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يستحب في الكلام عند الحاجة ١٢٧/٦ح رقم (١٠٣٢٢)، وابن ماجة في السنن، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح ٦٠٩/١ ح رقم (١٨٩٢)، وعبد الرزاق في المصنف، كتاب النكاح، باب القول عند النكاح ١٨٧/٦ ح رقم (١٠٤٤٩)، وأحمد في المسند ٣٩٢/١ ح رقم (٣٧٢٠)، والدارمي في السنن، كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح ١٩١/٢ ح رقم (٢٢٠٢)، وأبو يعلى في المسند ١٥٠/٩ ح رقم (٥٢٣٣)، والبيهقي في الكبرى، كتاب الجمعة، باب كيف يستحب أن تكون الخطبة ٢١٤/٣ كلهم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

لتقبّل جميع أوجه التأويلات عبر مختلف الأزمنة، إذ لو كان النص الشرعي لا يقبل إلا وجهاً واحداً في تفسيره لانسدّت قنوات الاجتهاد، واضمحلّت مرونة الدين ويسره.

والنبي ﷺ كونه النبيّ الخاتم، كان يدرك هذه الحقيقة، فلم يفسِّر عليه الصلاة والسلام القرآن كلّه حتى يبقى المجال مفتوحاً لجميع مَن يأتي بعده من المفسِّرين وغيرهم.

والرعيل الأول من الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين - ومَن جاء بعدهم في القرون الفاضلة، آمنوا بأنَّ الاجتهادَ الفكري والاختلافَ في المفاهيم يمثلان سعة الشريعة واتساع أفقها.

وفي هذا المعني يأتي حديث النبي ﷺ: **(إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا)**[1]، حيث يراعي مستجدات واقع المسلمين.

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة ١٠٩/٤ ح رقم (٤٢٩١)، والطبراني في المعجم الأوسط ٣٢٣/٦ رقم (٦٥٢٧)، والحاكم في المستدرك، كتاب الفتن والملاحم ٥٦٧/٤ رقم (٨٥٩٢)، والبيهقي في معرفة السنن والآثار، في المقدمة ٢٠٨/١ رقم (٤٢٢) عن أبي هريرة. قلت: اسناده صحيح رواته ثقات.

قال ابن كثير في "النهاية" في الفتن والملاحم " ١/ ٣٩: الظاهر -والله أعلم- إن هذا الحديث يعُمُّ جملة أهل العلم من كل طائفة، وكل صنف من. أصناف العلماء من مفسرين ومحدثين وفقهاء ونحاة ولغويين إلى غير ذلك من الأصناف، والله أعلم

وقوله: "يجدد لها دينها" قال الملا علي القاري: أي يبين السنة من البدعة، ويُكثِّر العلم ويُعزُّ أهله، ويقمع البدعة ويكسر أهلها.

ثم قال القاري: المراد بمن يجدد، ليس شخصاً واحداً، بل المراد به جماعة، يجدد كل أحدٍ في بلد في فن أو فنون من العلوم الشرعية ما تيسر من الأمور التقريرية أو التحريرية ويكون سبباً لبقائه وعدم اندثاره وانقضائه إلى أن يأتي أمر الله. ولا شك أن هذا التجديد أمر إضافي، لأن العلم كل سنة في النزول، كما أن الجهل كل عام في الترقي، وإنما يحصل ترقي علماء زماننا بسبب تنزل العلم في أواننا، وإلا فلا مناسبة بين =

والتجديد الدِّيني، الذي هو فريضة إسلامية، يبرز في تجديد آليات التفكير، بمراعاة حال المخاطَبِين من المسلمين ومآلهم، والنظر في وضعيتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية، وهذا لا يتأتّى إلا بالاطّلاع الواسع على العلوم الانسانية التي تساعد المجتهد على فهم أحوال المسلم وما يحيط به من ملابسات وقضايا، حتى نُخرج فقهاً يراعي أولوياته، ويوازن بين مصالحه ويرتب حاجياته، ويأخذ بعين الاعتبار أحوال المرحلة، باستصحاب الرؤية المقاصدية في غالب الأحكام الشرعية المتعلّقة بأفعال المُكَلَّفين.

إن ما وصلت إليه الحضارة الإسلامية من ازدهار ورقي في الحقل التربوي كان بالاعتماد على التعاليم النبوية في مجال التعليم، حيث يقف الباحث مدهوشاً كيف استطاع النبي الكريم ﷺ أن يحول خامات الجاهلية إلى دعاة، ويخرّج جيلا متميزاً من الصحابة أصبحوا علماء وقادة للبشرية.

وتعاني أمتنا اليوم من الانحطاط والتخلف في العلوم، وتتعلق بالمناهج الغربية التي غزتها في عقر دارها، كأنها لا إسهام لها في المعرفة، والحضارة.

فهدف البحث –إن شاء الله- بيان قواعد التعليم، وضبط أصوله، وإبراز القيمة المعرفية لقواعده من خلال السنة النبوية.

ومن الأسباب الداعية للكتابة في هذا البحث:

–ما نراه من انحطاط مستوى التعليم والتعلق بالمناهج الغربية.

–إظهار دور السنة في نهضة الأمة في مجال التعليم.

=

المتقدمين والمتأخرين علماً وعملاً وحلما وفضلاً وتحقيقا وتدقيقاً لما يقتضي البعد عن زمنه عليه الصلاة والسلام كالبعد عن محل النور يوجب كثرة الظلمة وقلة الظهور. مرقاة المفاتيح ٣٢٢/١. بتصرف.

-المساهمة في رفعة شأن أمتنا الإسلامية ولو بقدر ضئيل من خلال إبراز هذه الدرر الثمينة من خلال المنهج النبوي الشريف في تعليم ذلك الجيل الرائد وهو جيل الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين.

والعمل في هذا البحث بحول الله تعالى سيكون على النحو التالي:

.عزو الآيات القرآنية إلى أسماء السور وأرقام الآيات.

تخريج الأحاديث النبوية مع الحكم عليها إذا كان الحديث في غير الصحيحين.

-بيان معاني الألفاظ الغريبة الواردة في الأحاديث.

-بيان مقصود الأحاديث ودلالتها على الموضوع الواردة فيها.

ويتألف هذا البحث من مقدمة، ومبحثين وخاتمة:

-أما المقدمة ففيها أهمية الموضوع وسبب اختياره ومنهج الباحث فيه.

-وأما المبحث الأول بعنوان: **القواعد التي وضعها النبي ﷺ للعملية التعليمية، وفيه سبع قواعد.**

-وأما المبحث الثاني: **خصائص المنهج النبوي وقيمته المعرفية.** وفيه مطلبين:

- المطلب الأول: **خصائص التعليم والتعلّم من خلال منهج النبوة.**

-المطلب الثاني: **القيمة المعرفية لهذه القواعد، ومدى تأثيرها الحضاري على الفرد والمجتمع.**

-وأما **الخاتمة**، ففيها أهم نتائج البحث وتوصيات الباحث.

المبحث الأول

القواعد التي وضعها النبي ﷺ للعملية التعليمية.

ويتكون من سبع قواعد:

القاعدة الأولى: إصلاح النية.

أولى الركائز في طلب العلم هي إصلاح النية، لأن الله تعالى لا يقبل أيَّ عملٍ حتى يكون خالصاً لوجهه الكريم، إذ سلامة القصد شرط أساس في العملية التعليمية شأنها في ذلك شأن كل العبادات.

فالأعمال تتبع النية، وصحتها وكمالها بحسب سلامة النية وخلوصها من الشوائب لقول الرسول ﷺ: (**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**)[1]، فهذا الحديث النبوي، صدّر به جماعة من العلماء مصنفاتهم، حتى يستشعر العالم والمتعلم ضرورة اصطحاب النية الخالصة لله في الطلب والتبليغ.

والنية لها مقاصد عقدية وأبعاد تربوية تتجلّى في سلوك المتعلِّم والمعلِّم على السواء، لتتجسّد القدوة، ويحصل التأسِّي، وتنعكس النتائج التربوية المطلوبة.

وفي هذا الصدد نذكر بعض الأحاديث النبوية التي تبين خطورة وعظم أمر النية، منها:

١- ما جاء عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ، رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ. فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ. وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ. فَقَدْ

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحى، باب كيف كان بدء الوحى لرسول الله ﷺ ٣/١ رقم (١) وأرقام (٥٤، ٢٣٩٢، ٣٦٨٥، ٤٧٨٣، ٦٣١١، ٦٥٥٣)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ) وَأَنَّهُ يَدْخُلُ فِيهِ الْغَزْوُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ ١٥١٥/٣ رقم (١٩٠٧). عن عمر بن الخطاب ﷺ.

قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. **وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ. فَأُتِيَ بِهِ. فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ. وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ. فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.** وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ. فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ: كَذَبْتَ. وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ. فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ. ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النار). [١]

٢- وعنه أيضا قال: قال رسول الله ﷺ: **(مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)**[٢].

وتبعاً لهذا فالعلم إذا لم يكن خالصاً لوجه الله تعالى، ولم يختم بالنية الصادقة، كان رياء في الدنيا، وحسرة وخسرانًا في الآخرة على صاحبه.

وإصلاح النية غرض أساسي يتقاسمه المعلم والمتعلم، فكل منهما يريد بعلمه الطاعة والتقرب إلى الله تعالى دون شيء آخر من تصنّع لمخلوق أو اكتساب محْمَدة عند الناس، أو محبة مدح من الخلق، أو مباهاة الأقران أو أغراض دنيوية.

فالمعلم يقصد بتعليمه وتهذيبه طلبة العلم وجهَ الله تعالى، ونشرَ العلم وإحياء الدين، ودوام ظهور الحق وخمول الباطل ودوام خير الأمة بكثرة علمائها ومتعلميها...

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار ١٥١٣/٣ رقم (١٩٠٥).

(٢) أخرجه: أبو داود في السنن، كتاب العلم، باب في طلب العلم لغير الله تعالى ٣٢٣/٣ رقم (٣٦٦٤)، وأحمد ١٦٩/١٤ رقم (٨٤٥٧)، وابن ماجه في السنن، في المقدمة، باب الانتفاع بالعلم والعمل به ٩٢/١ رقم (٢٥٢)، والحاكم في المستدرك: كتاب العلم ١٦٠/١ رقم (٢٨٨) وقال: هذا حديث صحيح سنده، ثقات رواته على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

فعلى المعلِّم والمتعلِّم أن يحرصا ويجاهدا على إخلاص النية لله تعالى ابتغاء للثواب والأجر من الله تعالى. وإن حصل بعد ذلك مدح أو ثناء أو إعجاب من الناس فذلك فضل من الله، فأما إذا عمل العمل لله خالصاً ثم ألقى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين ففرح بفضل الله واستبشر بذلك لم يضرّه ذلك.

وفي هذا المعنى جاء حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِوَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ)** [١].

ومعالجة النية ليس بالأمر الهين كما يعتقد البعض اليوم.

فهذا سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول: "ما عالجت شيئاً أشدّ عليّ من نيّتي أنها تقلَّب عليّ". [٢]

وجاء عن الشافعي رحمه الله تعالى: "وددت أن الخلق يتعلّمون هذا العلم ولا ينسب إليّ حرف منه"[٣].

ولغرس النية في نفوس المتعلِّمين، يتعيّن ترغيبهم في التعلُّم وتحسين نيّتهم في طلب العلم وتأهُّبهم لتلقي العلم، لأنهم إذا أدركوا أن المثابرة على العلم والسعى في طلبه يؤدي إلى تصحيح النية فسيسارعون في تحصيله ويتأدبون بآدابه.

وفي هذا المعنى يقول التابعي الجليل الحسن البصري رحمه الله تعالى: "كنا نطلب العلم للدنيا فجرّنا للأخرة"[٤].

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أثنى على الصالح فهي بشرى ولا تضره ٤/ ٢٠٣٤ رقم (٢٦٤٢).

(٢) الجامع لآداب الراوي وأخلاق السامع للخطيب (٣١٧/١).

(٣) ينظر: حلية الأولياء لأبي نعيم (١١٨/٩) وتاريخ دمشق لابن عساكر (٣٦٥/٥١).

(٤) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث للقاسمي (ص٣٩٩).

وورد عن بعض السلف: "طلبنا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله"[١].

ويفهم من هذه الآثار أنه لو شُرط إخلاص النية في تعلّم المبتدئين -مع وعورته على أغلبهم- لأدّى ذلك إلى تفويت العلم على طلابه وانقلبت النتائج التربوية والتعليمية، لكن لا تهمل ولا بد من الحرص على تصحيحها وخاصة في العلوم الشرعية.

القاعدة الثانية: الحث على التعلّم بذكر فضل العلم

رغّب الإسلام في طلب العلم، للأثر الإيجابي له على المتعلِّم والمجتمعِ الذي يعيش فيه، بل إن أول ما أنزل على النبي ﷺ، كان الأمر بالقراءة، والتعلم، قال تعالى: {ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ * ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ * ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ}[٢]، والوحيُ بقسميه القرآنُ والسنةُ غنيٌّ بالنصوص الداعية إلى طلب العلم، وحثِّ المكلَّف على الاستزادة منه، وترغيب الناس فيه.

وتؤكّد هذه النصوص على أهمية العلم في بناء الفرد الصالح في نفسه المصلح لمجتمعه، وصياغة المجتمع الفاضل، وعلى دوره في البناء الحضاري عامة.

ولم يكن من العبث أن تكون كلمة: (ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ)، هي أول ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي، فهي كلمة عامة ومطلقة، توَلّت أغلبُ نصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة أمر تفسيرها وتبيينها والتقعيد لها.

ولهذا وجدنا كثيرًا مِن العلماء يولون اهتماماً كبيراً بالعلم وبيان فضله، وجرى على هذا النهج الإمام أبو عبد الله البخاري - رحمه الله تعالى- في الجامع الصحيح حيث صدّر كتاب العلم بقوله: "باب فضل العلم"، ولم يورد فيه حديثاً يدل على فضل

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٥٢/٧). وفتح المغيث للسخاوي (٢٨١/٢).

(٢) سورة العلق، الآيات(١-٥).

العلم، إشارة منه -رحمه الله- إلى أن فضل العلم معروف ومشهور يُسْتَغْنَى عن ذكر حديث أو حديثين فيه.

وهذا يعكس بوضوح وعي أمير المؤمنين في الحديث أبو عبد الله البخاري بجوهر رسالة الإسلام الحضارية التي تقوم على العلم والقراءة. والعلم في الإسلام عبادةٌ، وطريقٌ إلى المعرفة الدينية، ومن هنا تأتي أهميته، فهو وسيلة للتقرب إلى الله عز وجل وليس هدفاً قائماً بذاته، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: (**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**)[(١)].

ولم تكتف السنة النبوية بالترغيب في طلب العلم والحث عليه، وذكر فضله وأثره، والثواب الذي يحصل عليه المتعلِّم، بل جعلته واجباً عينياً لقول رسول الله ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»[(٢)].

فجعل الرسول الكريم ﷺ طلب العلم فريضة عينية على كل من انتسب لهذا الدين الإسلامي، فسوّى بين وجوب طلب العلم ووجوب سائر العبادات من صلاة وزكاة وغيرها.

ووجوب طلب العلم مقدّم على سائر الواجبات الأخرى لأن به تعرف أحكام الدين، يقول الحق سبحانه: {**فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**

(١) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر ٢٠٧٤/٤ رقم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه ابن ماجه في السنن: في المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ٨١/١ رقم (٢٢٤)، من حديث أنس بن مالك. وهو حديث مشهور متنه، ضعيف سنده. وقوله: "طلب العلم فريضة" قال البيهقي في "المدخل": أراد -والله تعالى أعلم- العلمَ الذي لا يسع البالغَ العاقلَ جهلُه، أو علم ما يطرأ له، أو أراد أنه فريضة على كل مسلم حتى يقوم به مَن به كفاية، وقال: سئل ابنُ المبارك عن تفسير هذا الحديث. فقال: ليس هو الذي يظنون، إنما هو أن يقع الرجل في شيء من أمور دينه فيسأل عنه حتى يعلمه. المدخل إلى السنن ص ٢٤٢.

وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ}[١]، فبالعلم يعرف الحق سبحانه وتعالى، ومن فطنة إمام المحدثين البخاري تبويبه بهذه الآية في كتاب العلم، في الباب العاشر إذ قال: "العلم قبل القول والعمل لقوله تعالى: (فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ).

قال ابن المنير معلقاً على هذه الترجمة: "أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل فلا يعتبران إلا به، فهو متقدِّم عليهما لأنه مصحِّحٌ للنية المصححة للعمل، فنبّه البخاري على ذلك حتى لا يسبق إلى الذهن من قولهم: "إن العلم لا ينفع إلا بالعمل" تهوين أمر العلم والتساهل في طلبه"[٢].

كما أن قول الله عز وجل: {فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا}[٣]، خطاب رباني يحث فيه الله سبحانه تعالى نبيَّه الكريم على الاستزادة من نعمة العلم، وهي النعمة الوحيدة التي أُمِر نبيُّنا عليه الصلاة والسلام بطلب المزيد منها، غير أن الخطاب في هذا النص القرآني، وإن كان يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم أصالةً، فهو موجه إلى كافة المكلفين تبعاً، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، كما يقول العلماء.

وإذا كان القرآن الكريم حثّ الناس على طلب المزيد من العلم، فقد بيّن ثمرات ذلك، أقلها أن من شأن العلم أن يرفع المملوك إلى درجة الملوك، لقول الله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَإِذَا

(١) سورة محمد، الآية (١٩).

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر (١/١٦٠).

(٣) سورة طه، الآية (١١٤).

قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ}[١].

وعن نافع بن عبد الحارث الخزاعي –وكان عامل عمر على مكة- أنه لقيه بعُسفان[٢] فقال له: مَن استخلفتَ؟ فقال: استخلفتُ ابنَ أبزى مولًى لنا. فقال عمر: استخلفتَ مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله، عالم بالفرائض. فقال عمر: أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال: (**إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الكتاب أقواما ويضع به آخرين**)[٣].

وهذه بعض الأحاديث النبوية الدالة على فضل العلم، منها:

١- ما جاء عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا ويعلمها**) [٤].

قال العلماء: الحسد قسمان: حقيقي ومجازي. فالحقيقي تمني زوال النعمة عن صاحبها. وهذا حرام بإجماع الأمة مع النصوص الصحيحة. وأما المجازي فهو الغبطة. وهو أن يتمنى مثل النعمة التي على غيره، من غير زوالها عن صاحبها. فإن كانت من أمور الدنيا كانت مباحة، وإن طاعة فهي مستحبة.

---

(١) سورة المجادلة، الآية (١١).

(٢) عسفان منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة وهى على مرحلتين من مكة. معجم البلدان ١٢١/٤.

(٣) أخرجه مسلم: في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها ٥٨٨/١ رقم (٨١٧).

(٤) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب: الاغتباط في العلم والحكمة ٣٩/١ رقم (٧٣)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها ٥٨٨/١ رقم (٨١٦).

والمراد بالحديث: لا غبطة محبوبة إلا في هاتين الخصلتين، وما في معناهما، (والحكمة) العلم الذي يمنع من الجهل ويزجر عن القبيح[١].

٢- وما ورد عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: **(لا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَ آنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آناء الليل و آناء النهار")**[٢].

ويشتمل الحديثان على قواعد تربوية، وضوابط تعليمية هامة وهى:

- غرس روح التنافس الشريف بين المتعلمين.
- تشجيع المتعلمين على الازدياد من العلم.
- مراعاة قدرات الطلبة في الفهم.
- إدراك المعلم أو المربي أنه لا يصل إلى درجة أن يغبط إلا إذا كان لديه اقتناع تام بأنه في حاجة مستمرة إلى التعلم، وأن هناك من هو أعلم منه.
- ولا ينبغي أن يمنع المرء تبوّءه لمنصب التعليم من الجلوس بين يدي الأساتذة للاستفادة والتكوين والتقويم.

٣- وما جاء عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)**[٣].

---

(١) صحيح مسلم ٥٨٨/١.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها ٥٨٨/١ رقم (٨١٥).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ٣٩/١ رقم (٧١)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب النهى عن المسألة ٧١٩/٢ رقم (١٠٣٧).

ويستفاد من الحديث:

- حاجة المتعلِّمين إلى العلم الشرعي.
- عين الفهم في العلم لا يكون إلا بمراعاة الضوابط التربوية والمحددات التعليمية.

٤- ومنها ما جاء عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طائفة أخرى، إنما قيعان** [(١)] **لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ)** [(٢)].

وأما هذا الحديث فيشير إلى خصائص المنهجية التعليمية الواجب توفرها عند المعلم، ومنها:

- حرص المعلم على تعليم الطلاب بكل وسيلة يستطيعها.
- ضرب المعلم الأمثلة أثناء الدرس لتعزيز العملية التعليمية.
- حرص المعلم على أن تكون الأمثلة قريبة من فهم الطالب، ومن بيئته ليمكنه استيعابها.

---

(١) (نقية) طيبة. (الكلأ) نبات الأرض، رطبا كان أم يابسا. (العشب) النبات الرطب. (أجادب) جمع أجدب، وهي الأرض التي لا تشرب الماء ولا تنبت. (قيعان) جمع قاع، وهي الأرض المستوية الملساء. غريب الحديث للخطابي ٧٢٣/١.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم ٤٢/١ رقم (٧٩)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث النبي ﷺ من الهدى والعلم ١٧٨٧/٤ رقم (٢٢٨٢).

وهذه القاعدة التعليمية التربوية التي فصلنا القول فيها بإيجاز، لا تؤتي أكلها إلا إذا أُعِدَّ لها زمرة من الأساتذة الأكفاء تربوياً وخلقياً، إذ العلم ينبغي أخذه من مظانه الأصلية، ونقصد بذلك العلماء العاملين المخلصين.

وفي هذا يقول البخاري رحمه الله في أول كتاب الفرائض "من صحيحه: قال عقبة بن عامر رضي الله عنه: "تعلموا قبل الظانين" قال البخاري: يعني الذين يتكلمون بالظن [١].

والمعنى: أي قبل ذهاب العلم والعلماء. وبقاء الذين لا يعلمون شيئا ويتكلمون بمقتضى ظنونهم الفاسدة.

قال ابن عباس ﷺ: "كونوا ربّانيين حلماء فقهاء". ويقال: الربّاني الذي يربّي الناس بصغار العلم قبل كباره. [٢]

قلت: وجعل القاعدة الثانية: "الحث على التعلّم بذكر فضل العلم" مسألة تعليمية أولية تتجلى في إبراز أهمية المادة المقبل عليها المتعلِّم، لأن في هذا تعريفاً له بخصائص المادة، وتحفيزاً له على استكشاف كنهها لتحصل عنده الرغبة، فحبُّ المادة المُدَرَّسة يساعد على سرعة التلقي وسهولة التواصل وحسن التفاعل، وهذا الشوق الذي يتولد عند المتعلم، يدفعه أحياناً إلى الرغبة في إتقان هذا العلم والتفوق على الأقران.

(١) صحيح البخاري: كتاب الفرائض، باب تعليم الفرائض ٦/ ٢٤٧٤.

(٢) صحيح البخاري: كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل ١/ ٣٧.

القاعدة الثالثة: تكافؤ الفرص بين الذكور والإناث في التعليم

إذا كان العلم وطلبه بهذه الأهمية، فإنه لا يمكن تحقيق الهدف المرجو منه إلا بتكافؤ الفرص في طلبه بين الذكور والإناث، على اعتبار أن المرأة مثلها مثل الرجل في كونها مسؤولة أمام الله تعالى في تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية فيما فرض عليها من العبادات، لهذا كان لها الحق بل عليها واجب تعلم الأمور التي لا يتحقّق الدين إلا بتعلُّمها، فهي تشترك مع الرجل في العمل على تحقيق هدف التربية الإسلامية في نفسها ومنزلها وولدها، ولهذا فإن الرسول صلى الله عليه وسلم كان لا يقبل دخول امرأةٍ الإسلام حتى تتعلم أهمّ مبادئ الدين، وتبايع على تحقيق هذه المبادئ، وتتعهّد بتطبيق ما علِمت، وذلك مصداقا لقوله سبحانه وتعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (١).

وما جاء عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، قَالَ: (شَهِدْتُ صَلَاةَ الْفِطْرِ مَعَ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ. فَكُلُّهُمْ يُصَلِّيهَا قَبْلَ الْخُطْبَةِ. ثُمَّ يَخْطُبُ. قَالَ: فَنَزَلَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ حِينَ يُجَلِّسُ الرِّجَالَ بِيَدِهِ. ثُمَّ أَقْبَلَ يَشُقُّهُمْ. حَتَّى جَاءَ النِّسَاءَ وَمَعَهُ بِلَالٌ. فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا} فَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا. ثُمَّ قَالَ، حِينَ فَرَغَ مِنْهَا: أَنْتُنَّ عَلَى ذَلِكَ؟ فَقَالَتِ امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ، لَمْ يُجِبْهُ غَيْرُهَا مِنْهُنَّ: نَعَمْ. يَا نَبِيَّ

(١) سورة الممتحنة، الآية (١٢).

اللهِ! لَا يُدْرَى حِينَئِذٍ مَنْ هِيَ قَالَ: فَتَصَدَّقْنَ فَبَسَطَ بِلَالٌ ثَوْبَهُ. ثُمَّ قَالَ: هَلُمَّ! فِدًى لَكُنَّ أَبِي وَأُمِّي! فَجَعَلْنَ يُلْقِينَ الْفَتَخَ[١] وَالْخَوَاتِمَ فِي ثَوْبِ بِلَالٍ)[٢].

فالتعلم في حق المرأة كالتعلم في حق الرجل كلاهما مقترن بالعمل.

وهذه بعض الأخبار النبوية التي تدل على طلب المرأة العلم وحرصها عليه، وتعليم النبي ﷺ للنساء والرجال، منها:

١- ما جاء عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: **(جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ، تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ، فَقَالَ: (اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا، فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا). فَاجْتَمَعْنَ، فأتاهنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعلمهنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ: (مَا منكنَّ امْرَأَةٌ تقدِّم بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ ولَدها ثَلَاثَةً، إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ). فَقَالَتْ امرأة منهنَّ: يا رسول الله؟ اثْنَيْنِ؟ قَالَ: فَأَعَادَتْهَا مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: (وَاثْنَيْنِ و اثنين و اثنين).** [٣]

يدل هذا الحديث على المعطيات التربوية والتعليمية الآتية:

- تخصيص النساء بهذا اليوم ليتعلمن فيه أمورهن الخاصة بالإضافة إلى حضورهن مع الرجال في دروسهم.

---

(١) (الفتخ) واحدها فتخة، كقصبة وقصب. واختلف في تفسيرها. ففي صحيح البخاري عن عبد الرزاق قال: هي الخواتيم العظام. وقال الأصمعي: هي خواتيم لا فصوص لها. وتجمع أيضا على فتخات وأفتاخ. النهاية في غريب الحديث ٤٠٨/٣.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب صلاة العيدين ١٨/٣ رقم (٨٨٤).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب تَعْلِيمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ مِمَّا علَّمه اللَّهُ، ليس برأي ولا تمثيل ٢٦٦٦/٦ رقم (٦٨٨٠)، ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب: فضل من يموت له ولد فيحتسبه ٢٠٢٨/٤ رقم (٢٦٣٣).

- مجازاة الحريص على العلم ومكافأته لإشباع نهمه.
- حرص النساء على العلم، جعل العلم يأتيهن خلافاً للمعتاد، كما أن البخاري ترجم لهذا الحديث في كتاب العلم بقوله، باب هل يُجْعل للنساء يوم على حدة؟ وعنون له في كتاب الاعتصام بقوله: باب تعليم النبي ﷺ أمته من الرجال والنساء مما علمه الله ليس برأي ولا تمثيل.

٢- وعَنْ عَائِشَةَ (**أَنَّ أَسْمَاءَ سَأَلَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ غُسْلِ الْمَحِيضِ؟ ... وفيه فَقَالَتْ عَائِشَةُ: نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ**)[١].

ويؤخذ من هذا الحديث على المستوى التعليمي ما يلي:

.على المتعلم تجنّب الخجل والتكبّر لأنهما يمنعان من التعلّم.

قَالَ مُجَاهِدٌ رحمه الله: لَا يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ مُسْتَحْيٍ وَلَا مُسْتَكْبِرٌ[٢].

.جرأة الإناث في طرح السؤال يجب أن تكون مقيّدة بالأدب والحياء.

.مراجعة المتعلم المعلم فيما أشكل عليه من الدرس.

٣- وما جاء عن الشِّفَاء بنتِ عبد الله، قالت: (**دخلَ عليَّ النبي - صلَّى الله عليه وسلم - و أنا عندَ حفصةَ، فقال لي: "ألا تُعَلِّمين هذه رُقْيَةَ النملة، كما علَّمتِيها الكتابةَ**) [٣].

---

(١) أخرجه البخاري: تعليقا: كتاب العلم، باب الحياء في العلم ٦٠/١، ومسلم كتاب الحيض، باب جواز غسل رأس زوجها وترجيله وطهارة سؤرها والاتكاء في حجرها وقراءة القرآن فيه ٢٦١/١ رقم (٣٣٢) واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري: كتاب العلم، باب الحياء في العلم ٦٠/١.

(٣) أخرجه أبو داود في السنن: كتاب الطب، باب ما جاء في الرقى ٣٥/٦ رقم (٣٨٨٧)، والنسائي الكبرى: كتاب الطب، باب رقية النملة ٧٥/٧ رقم (٧٥٠١). والنملة: قروح تخرج في الجنبين، ويقال: إنها تخرج أيضاً في غير الجنب، تُرقى فتذهب بإذن الله عزّ وجلّ. غريب الحديث لابن قتيبة ٦٢٠/٢.

ويستفاد من هذا الحديث:

ـ مشروعية تعليم المرأة الكتابة.

ـ استحباب تعليم المرأة ما يتعلّق بالتطبيب.

٤- وجاء عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(ثَلَاثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ ... وفيه: ورجل كانت عنده أمة يطؤها، فأدبها فأحسن أدبها، وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا، فَلَهُ أَجْرَانِ)**[(١)].

يؤخذ من هذا الحديث تربوياً:

ـ ضرورة تعليم المرأة لأنها نصف المجتمع.

ـ استحباب تعليم خادمات البيوت لما لهن من تأثير على تربية النشء.

ـ على المعلِّم بذل قصارى جهده في حسن تعليم أهله، بل حتى أمته لأن العلم مشاع بين جميع الناس، ويعتبر حقًّا للمرأة كشقيقها الرجل، فهما يعملان جنباً إلى جنب في تعلّم العلم وحفظه، إذ تعليم المرأة هو عين الحرص على طلب العلم. بل ينبغي تخصيص برامج تعليمية خاصة بالنساء وهو ما يعبر عنه بالتربية النسوية التي تشمل إعطاء الدروس، وإقامة المحاضرات، وتهيئة الورشات بالموضوعات اللصيقة بالمرأة من حيث إنها أنثى، وعدم إشراك المرأة التي يقع على كاهلها صناعة الأجيال هو أكبر أسباب هدم العلم وضياعه وذهاب العلماء.

ويتبيّن من هذه الأحاديث وغيرها مما لم نذكره هنا مخافة التطويل أن المبادئ والأسس التربوية المعمول بها حالياً في كبريات المدارس الغربية موجودة في دواوين

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب تعليم الرجل أمته وأهله ٤٨/١ رقم (٩٧) واللفظ له، ومسلم: كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ١٣٤/١ رقم (١٥٤).

الحديث النبوي ومؤلفات الفقه الإسلامي، ومصنفات التراث العربي الإسلامي، قبل أن يعرف الغرب تعليم ولا تعلم.

ونمثل لهذا التنظير التعليمي والتربوي المقتبس من صميم الأحاديث النبوية، بصنيع فقيه ومجتهد المحدثين أبي عبد الله البخاري في كتاب العلم من صحيحه، بتراجمه التربوية والتعليمية المستنبطة بدلالة العبارة من منطوق الأحاديث، حيث خصص لموضوع تعليم المرأة وتربيتها الأبواب الآتية:

الباب ٢٦ وعنوانه بـ: "الرحلة في المسألة النازلة وتعليم أهله".

والباب ٣١ وترجمه بـ: "باب تعليم الرجل أمته وأهله".

والباب ٣٢ وسمّاه بـ: "باب عظة الإمام النساء وتعليمهن".

والباب ٣٥ والذي قال فيه: "باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم؟ "

والملاحظ أن البخاري يشرك في وجوب تعليم الأنثى الأب والأخ والزوج والحاكم، فكل واحد من هؤلاء له جزء من المسؤولية في ذلك التعلم، وبالتالي فهو يلزم الأسرة والمجتمع بتعليم الأنثى بنتاً كانت أو أختاً أو زوجة أو فرداً من أفراد المجتمع.

وتكافؤ الفرص بين الذكور والإناث في العملية التعليمية لا يعني بالضرورة أن تدرّس نفس الدروس لكلا الجنسين، فهذا خطأ تقع فيه المناهج التربوية المعاصرة، "لعدم مراعاتها التخصص التربوي وفق طبيعة وتركيبة الجنسين النفسية والعضوية"[١].

فالعبرة ليست بالقدرة العقلية على الدراسة والتحصيل، فنحن لا نعيش بعقولنا وحدها، ولكن بكياننا كله: كياننا النفسي والعاطفي والجسدي والعصبي بالإضافة إلى كياننا العقلي والروح.

(١) المرأة بين الفقه والقانون /مصطفى السباعي (ص: ١٦٦).

"فهذه المساواة بين الجنسين مغلوطة، فمهام الرجل تختلف عن مهام المرأة، فقد خلق الله كلا منهما لأداء وظائف منوطة به تتوافق مع طبيعته وفطرته، ويتعسر القيام بها على غيره، وللأسف فإن التعليم في البلاد الإسلامية لم يأخذ في الاعتبار الاختلاف بين الجنسين فصيغت المناهج ووضع المحتوى على أساس المساواة بينهما تقليداً للغرب وجرياً وراء نظمهم التربوية الوضعية.

والحال أن الإرث التربوي الإسلامي متمثلا في جامع الإمام البخاري، وغيره من كتب السنة، يؤكد على أن هذه المساواة خاطئة، فنجده يعقد باباً يذكر فيه ضرورة تخصيص لقاءات علمية وتربوية تلامس موضوعاتها قضايا تهم المرأة وحدها في حياتها[1].

أقول: ومن هنا اختلط هذا المفهوم التربوي على بعض خصوم الإسلام، فحسبوا أن هذا التوجيه رقابة على تعليم المرأة دون الرجل، وهو خطأ أفسد على الناس التصور الحق للتعليم في الإسلام، فلا أدل على حسن التوجيه التربوي من فريضة تعليم المرأة، تعاملها مع وضعها الطبيعي في الحيض والنفاس وعلاقتها بزوجها وأبنائها والمجتمع ككل.

(١) انظر: باب ٣٥ "هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم".

القاعدة الرابعة: تعليم الصغار

والكلام على وجوب تعليم المرأة يقودنا بالضرورة إلى الإشارة إلى تعليم الصغار، هذا التعليم الذي يتقاسمه البيت والمدرسة أو المعهد.

وقد يكون من الأمثلة والنماذج المهمة التي ضربها القرآن لنا، ما قصّه على الرسول القدوة صلى الله عليه وسلم والمسلمين من بعده إلى يوم الدين، من قصة لقمان الحكيم في إطار تربية الأبناء، لتُشكل تلك القصة منطلقات خالدة يوحى بها لكل عمل ثقافي أو تربوي أو إعلامي في مجال الأطفال في كل زمان ومكان. قال الله تعالى: {وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ١٣ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ١٤ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَاۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًاۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٥ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ١٦ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ١٧ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ١٨ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ} [1]، والسنة النبوية تزخر بنماذج حية تُعنى بالصغار تعليماً وتربية بمنهج نبوي استطاع أن يربّي به خامات الجاهلية فكيف بالصغار.

واختلف المحدثون قديماً في السِّنّ التي يصح فيها سماع الصبي العلم وعقدوا لذلك أبواباً في كتبهم مما يدل على تجاوزهم مسألة تعليم الصبيان إلى مسألة أعمق منها وأكثر نضجاً، واعترافاً بقدرات الصغار، ألا وهي هل يصح الاحتجاج بما حصّله راوي الحديث وهو صغير؟ وما هو أدنى حدّ لذلك؟ وهل هناك قاعدة منضبطة في ذلك أم أن

(١) سورة لقمان، الآيات (١٣-١٩).

الأمر يختلف بحسب القدرات الإدراكية والمؤهلات النفسية مع اتفاقهم أن الصغير لا يؤدّي علمه إلا بعد البلوغ.

وانطلاقا من هذا المبدأ التربوي، لاحظ الإمام البخاري وجوب العناية بالأحداث، وإتاحة الفرصة لهم للتزود والحفظ والفهم خاصة إذا وُجدت فيهم الأهلية لذلك، فَعَقَدَ الباب (١٨) من كتاب العلم الذي يستفسر فيه عن سن تعليم الصغير. فلم يضع السؤال بقوله: هل يصح سماع الصغير؟ بل قال: متى يصح سماع الصغير؟، وذلك لأن البخاري يجزم جزماً بَاتّا بضرورة تعليم الصغار، وإنما ترك مسألة الفصل في تحديد السن المناسب للتعلم للمتخصصين حسب تغير الزمان والمكان، وكأنه لمس ذلك من خلال رحلاته العلمية ومشاهداته في مختلف البلاد الإسلامية.

وهذه قضية تعليمية لم تلتفت لها المناهج والنظريات الحديثة في التربية، وإنما تلتقي هذه المناهج المعاصرة مع استنباطات المحدثين من السنة النبوية في ضرورة الاهتمام بالطفل في مراحله الأولى، لأنه أصبح من الأمور البديهية والمسلم بها الآن لدى خبراء التربية أن التعليم في مرحلة الطفولة المبكرة "ذو أثر عميق في نمو طاقات الفرد وفي تهيئة مداركه لمزيد من التعليم في مقتبل حياته، وإذا كنا لا نذهب إلى ما وصل إليه علماء التحليل النفسي من مبالغة مفرطة في تأثير عوامل النمو في السنوات الخمس الأولى من حياة الطفل على تكوين شخصيته واتجاهاته في المستقبل، فإننا لا يمكن أن نقلل في الوقت نفسه من الأهمية البالغة لعوامل التنشئة الأولى في تكوين القيم والاتجاهات والعادات.

ولذلك حرص الصالحون على تعليم الصغار من أبناء المسلمين والتذكير بضرورة العلم للناشئة اقتداءً بسنة النبي ﷺ.

وفترة الحداثة من أعمار الطلاب فرصة لاغتنام مواهبهم، وقد قيل: "إن حفظ الغلام الصغير كالنقش في الحجر، وحفظ الرجل بعدما يكبر كالكتاب على الماء"[(١)].

ومن الوقائع التربوية ذات الصلة بتربية وتعليم الصغار، أذكر الأحاديث الآتية:

١- ما جاء عن سهل بْنِ سَعْدٍ ﷺ قَالَ: **(أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَدَحٍ فَشَرِبَ مِنْهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ أَصْغَرُ الْقَوْمِ، وَالْأَشْيَاخُ عَنْ يَسَارِهِ، فَقَالَ: (يَا غُلَامُ، أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ الْأَشْيَاخَ). قَالَ: مَا كُنْتُ لِأُوثِرَ بِفَضْلِي مِنْكَ أَحَدًا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَعْطَاهُ إياه)** [(٢)].

من القواعد التعليمية التربوية هذا الحديث:

ـ تعليم الصغار احترام من هو أكبر منهم.

ـ مخاطبة الصغير على أن له مكانة وأن رأيه معتبر وعدم إلغاء وجوده وهضم حقه.

٢- وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ: أَنَّهُ مَرَّ عَلَى صِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: **(كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وسلم يفعله)**[(٣)].

قال ابن بطال: "سلام النبي ﷺ على الصبيان من خلقه العظيم، وأدبه الشريف وتواضعه عليه السلام، وفيه تدريب لهم على تعليم السنن، ورياضة لهم على آداب

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٣١١/١).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب المساقاة، باب في الشرب، ومن رأى صدقة الماء وهبته ووصيته جائزة، مقسوما كان أو غير مقسوم ٨٢٩/٢ رقم (٢٢٢٤)، ومسلم: كتاب الأشربة، باب استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما عن يمين المبتدئ ١٦٠٤/٣ رقم (٢٠٣٠).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الاستئذان، باب التسليم على الصبيان ٢٣٠٦/٥ رقم (٥٨٩٣)، ومسلم في السلام، باب: استحباب السلام على الصبيان رقم (٢١٦٨).

الإسلام الشرعية ليبلغوا حدّ التكليف وهم متأدّبون بأدب الإسلام، وقد كان عليه السلام يمازح الصبيان ويداعبهم ليقتدي به في ذلك". [١]

٣- وعن ابن عباس ﷺ قَالَ: (**كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**) [٢].

وفي هذا الحديث فائدة تعليمية وتربوية مهمة تتجلّى فيما يلي:

مخاطبة الرسول ﷺ لابن عباس –رضي الله عنه- وهو صغير السن، بهذه الأمور الكبيرة التي تمس الجانب العقدي، تدل على قضية أساسية في التعليم، وهي ضرورة فتح الآفاق للمتعلِّم لاستشراف المستقبل وإعلامه بمهمات الأمور حتى تترسَّخ في ذهنه، ويتحمَّل المسؤولية شيئاً فشيئاً حتى يصير قادراً على القيام بها على أحسن وجه.

٤- وجاء عن عمر بن أبي سلمة [٣] ﷺ قال: **كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ). فَمَا زَالَتْ تلك طعمتي بعد**) [٤].

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢٧/٩).

(٢) أخرجه: والترمذي في الجامع: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٦٦٧/٤ رقم (٢٥١٦) وقال: حسن صحيح، وأحمد في المسند ٤٨٨/٤ رقم (٢٧٦٣).

(٣) عمر بنُ أبي سلمة المخزومي، ربيب النبي ﷺ، صحابي صغير، أمه أم سلمة زوج النبي ﷺ، وأمّره عليّ على البحرين، مات سنة ٨٣هـ. الإصابة في تمييز الصحابة ٤٨٧/٤.

(٤) أخرجه البخاري: كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين ٢٠٥٦/٥رقم (٥٠٦١)، ومسلم: كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما ١٥٩٩/٣ رقم (٢٠٢٢).

يمكننا أن نخل من هذا الحديث قواعد تعليمية نلخصها على الشكل الآتي:

على المربي أن يبادر بإصلاح الأخطاء في وقتها.

- عدم التعنيف على الخطأ وإصلاحه برفق ولين.
- استثمار الخطأ وجعله بادرة انطلاقة للتنبيه على أشياء أخرى، وأخذ المبادرة لتزويد المتعلم بمعارف تصب في نفس موضوع الخطأ.

والنتيجة تكون بعد هذا كله رسوخ تلك المعلومات، والمعارف في ذهن المتلقي وضمان عدم رجوعه إلى ذلك الخطأ، ولا أدلّ على ذلك من قول الصحابي في آخر الحديث: "فما زالت تلك طعمتي بعد".

القاعدة الخامسة: آداب المعلم

يجد الباحث صعوبة في الكلام عن آداب المعلّم، لأنه يلتقي مع صفة من صفات رسول الله ﷺ ومهمة من مهامه. يقول رسول الله ﷺ: **(إن الله لم يبعثني معنّتاً، ولا متعنّتاً، ولكن بعثني معلّماً ميسّراً)**[١].

وعن معاوية بن الحكم السلمي[٢] رضي الله عنه قال: **(بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ. فَقُلْتُ: يرحمك الله! فرماني القوم بأبصارهم. فقلت: و اثكل أُمِّيَاهْ! مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ. فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ. فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي. لَكِنِّي سَكَتُّ. فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي! مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ. فَوَاللَّهِ! مَا كَهَرَنِي[٣] وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي. قَالَ "إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ، مِنْ كَلَامِ النَّاسِ. إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ)**[٤].

فها هو الرسول الكريم ﷺ يصف نفسه بالمعلّم، وبهذا الوصف وصفه الصحابي الجليل معاوية بن الحكم، وذكرَ ما كان عليه مِن عظيم الخلق وحسن الأدب. فما أحوج الذي يتصدّى لتعليم الناس للتأسّي بأخلاق المصطفى صلوات ربّي وسلامه عليه.

---

(١) جزء من حديث أخرجة مسلم: كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلا بالنية ١١٠٣/٢ رقم (١٤٧٨) من حديث جابر رضى الله عنه.

(٢) معاوية بن الحكم السلمي: صحابي نزل المدينة. الإصابة (١١٨/٦).

(٣) كهرهُ يكهره: إذا زبره واستقبله بوجه عبوس، والكهر الانتهار. النهاية في غريب الأثر لابن الأثير. (٢١٢/٤).

(٤) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحة ٣٨١/١ رقم (٥٣٧).

ولعلّنا نحاول الاقتباس من سيرته وسنة ﷺ شذرات نضيء بها طريق من سار في درب التعليم، حسب ما يقتضيه المقام:

١- تأهيل شخصية المعلم:

يعتبر المعلم عاملا أساسياً في نجاح العملية التعليمية، وهو من أهم عناصر التعليم، إذ التعليم لا يتمّ بغير معلّم.

"قيل لأبي حنيفة رحمه الله: في المسجد حلقة ينظرون في الفقه، فقال: ألهم رأس؟ قالوا: لا، قال: لا يفقه هؤلاء، أبداً"(١).

قال الله عزّ وجل: {**ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِير**}(٢).

قال رسول الله ﷺ: (**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ. وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ. وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ. وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**)(٣).

ومن هنا كان لا بد من الاهتمام بالمعلم واختياره وتحديد عناصر كفايته وتعيين مسؤوليته وأهم الصفات الواجب توفرها فيه، وبيان أهم وظائفه المتمثلة عنده في تنمية عقول المتعلمين وخلقهم ومهاراتهم، وإكسابهم المعارف والعلوم والآداب المختلفة، وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا بأمور:

الأمر الأول: تحلّي المعلّم بالأخلاق الحسنة انطلاقاً من كونه قدوة:

إن من أهم خصائص المعلم الناجح أن يلتزم بالآداب الفاضلة والأخلاق الحسنة التي يتطلبها تعليم العلم، وهذا الالتزام يؤدي به إلى إنتاج تعليم هادف ومنظم ومؤثر،

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم. لابن جماعة (ص: ٤٦).

(٢) سورة الحج، الآية (٧٥).

(٣) أخرجة مسلم: كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة ١٧٨٢/٤ رقم (٢٢٧٦) من حديث واثلة بن الأسقع ﷺ.

ويمكن إرجاع ضرورة الالتزام بالأخلاق الحسنة إلى أهمية دور القدوة باعتبارها من أعظم وسائل التربية وأكثرها فعاليّة، لأن الطالب سريع التأثر بمعلمه الذي يحبه، وقد ثبت بالرؤية والتجربة أن الناس لديهم حاجة نفسية إلى أن يشبهوا الأشخاص الذين يحبونهم ويقدرونهم.

فحاجة المعلّم إلى اكتساب الأدب يجب أن لا تقل عن حاجته إلى اكتساب العلم والمعرفة، وأن واجب المعلم ليس تزويد طلابه بالمعارف المختلفة فحسب، بل إكسابهم حسن الخلق وكريم الأدب.

فعن سعد بنِ هشام بنِ عامر قال: قلت لعائشة: يا أم المؤمنين أنبئيني عن خُلُقِ رسول الله ﷺ. قالت: ألستَ تقرأ القرآن؟ قلتُ: بلى، قالت: (**فإن خلقَ نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن**) [(١)].

وسيرة معلّم الأمة صلى الله عليه وسلم مليئة بالمواقف التي تنطق بعظيم خلقه، وجودة تعليمه، وحسن تأديبه.

فعلى من وُكلت إليه مهمة التعليم أن يتأسى بأخلاق وآداب الرسول الكريم حتى تكون لجهوده في التعليم ثمرة يجنيها.

الأمر الثاني: حسن هيئة المعلّم

جعل الله سبحانه وتعالى دين الإسلام دين طهارةٍ وجمالٍ، يقول الرسول ﷺ: «**إن الله جميل يحبّ الجمال**»[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض ٥١٢/١ رقم (٧٤٦).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه ٩٣/١ رقم (٩١).

وفي حديث جبريل المشهور أن عمر بن الخطاب ﷺ قال: **بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر... وفيه: هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم).** (١)

فهذا جبريل عليه السلام جاء معلّما للصحابة رضي الله عنهم فجاء في أحسن صورة، وأبهى حلّة، وعلى أجمل حال، وفي أطيب ريح، فجلب الأنظار، واسترعى اهتمام الصحابة إليه حتى يصغوا إليه ويكون لكلامه وقعاً في نفوسهم.

ويستفاد من حديث جبريل أن المعلّم يلزمه أن يكون حسن الهيئة، فجبريل جاء معلّماً الناس الإسلام والإيمان والإحسان بلسان مقاله، وهيئة المعلّم ولباسه بلسان حاله.

ومن الأحاديث التي يؤخذ منها وجوب عناية المعلّم بهيئته. ما جاء عن أنس بن مالك ﷺ قال: **(ما شممتُ عنبراً قطُّ، ولا مسكاً، ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله ﷺ.** (٢)

فينبغي لكل من تصدر لمهمة البيان والتربية والتعليم أن يهتم بملبسه، وهيئته، وقد سار على هذا النهج النبوي الصحابة والتابعون.

وهذه نماذج من سير بعض الصحابة، ومنهم:

- مصعب بن عمير ﷺ الذي يعتبر أول سفير في الإسلام، بعثه رسول الله إلى المدينة ليعلّم الناس دين الله، يحكي البراء بن عازب ﷺ قائلا: "أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم". (٣)

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ٣٦/١ رقم (٨)، والبخاري: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة ٢٧/١ رقم (٥٠) من حديث أبي هريرة ﷺ بلفظ قريب.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ ١٣٠٦/٣ رقم (٣٣٦٨)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النبي صلى الله عليه وسلم، ولين مسه، والتبرك بمسحه ١٨١٤/٤ رقم (٢٣٣٠) واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب مقدم النبي وأصحابه المدينة ١٤٢٨/٣ رقم (٣٧٠٩).

فمصعب أول مبعوث في الإسلام، ولا شك أن رسول الله ﷺ انتقاه واصطفاه من بين الصحابة فما هي صفاته وهيئته.

وكان مصعب بن عمير فتى مكة شباباً وجمالاً، وكان أبواه يحبانه وكانت أمه تكسوه أحسن ما يكون من الثياب وأرقها، وكان أعطر أهل مكة، وكان رسول الله ﷺ يذكر يقول: ما رأيت بمكة أحسن لمّة ولا أرقّ حلة ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير". (١)

فليتأمّل المعلّم في حال مصعب الذي أرسل إلى المدينة فقلبها إيماناً وحبًّا، وجعلهم ينتظرون بشوق قدوم رسول الله ﷺ.

- معاذ بن جبل ﷺ أعلم الناس بالحلال والحرام، بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن معلّماً وقاضياً، كما أرسل أبا موسى الأشعري. فعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: "كان معاذ بنَ جبل من أحسن الناس وجهاً، وأحسنهم خلقا، وأسمحهم كفافا". (٢)

فاعتناء المعلّم والمربّي بهيئته وحاله أساسٌ تربوي يحول دون تكوين حواجز تنفير بين الطلبة ومعلّمهم.

قال ابن سيرين: "كانوا يتعلمون الهدى كما يتعلمون العلم (٣).

الأمر الثالث: الرفق بطالب العلم، والإحسان إليه، والحلم عليه، وهو مطلب تربوي هام، لأن النفوس جُبلت على حبّ من أحسن إليها وبغض من أساء إليها. يقول الرسول ﷺ: «والرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه» (٤).

---

(١) ينظر: سيرة ابن هشام ٤٣٤/١، الطبقات الكبرى ٨٦/٣، الاستيعاب في معرفة الصحاب ١٤٧٤/٤.

(٢) ينظر: الطبقات الكبرى ٤٤٠/٣، أسد الغابة ١٨٧/٥.

(٣) تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم (ص: ٢).

(٤) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق ٢٠٠٤/٤ رقم (٢٥٩٤) عن عائشة رضى الله عنها.

ولهذا يعتبر المعلّم الأكثر تأثيرا في تلاميذه هو الذي يرفق بهم ويشفق عليهم، ومن فقد القدرة على ذلك فقد القدرة على التأثير فيهم. قال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ}[(١)]. فالله عزّ شأنه يمتنّ على رسوله الكريم بنعمة الرفق وليونة الجانب، ويبيّن له أنّه لو اتصف بالفظاظة والغلظة لانفضّ الناس من حوله ولمَا وفّق في تبليغ رسالة ربّه.

ومن هنا تأتي أهمية الرفق، ولين الجانب عند المعلّم حتى يستطيع استمالة القلوب والتأثير فيها.

ولعل المتصفّح لسيرة المعلّم والمربي الأول للصحابة عليه الصلاة والسلام يجد رفقه وإحسانه للمتعلّمين بارزاً واضحاً لا يحتاج إلى استنباط ولا إعمال جهد، نذكر من هذه السيرة العطرة مبادئ تعليمية وتربوية عالية على سبيل المثال لا الحصر:

- فعن أنس بن مالك ﷺ قال: **بينما نحن جلوس في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مَهْ مَهْ. قال رسول الله ﷺ: «لا تُزْرِمُوه، دعوه». فتركوه حتى بال. فلمّا فرغ دعا بدلو من ماء فصبّه عليه. ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا للبول والقذر. إنما هي لذكر الله عزوجل، والصلاة، وقراءة القرآن».** [(٢)]

فالرسول ﷺ ترفق بالأعرابي رغم خطئه، بل أشفق عليه أن يؤذيَ نفسه أو ينجس ثيابه، فقال للصحابة: «لا تزرموه». فبيّن له زلّته وصححها له في غاية الرفق واللّين.

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١٥٩).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله ٥/٢٢٤٢ رقم (٥٦٧٩)، ومسلم: كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذ حصلت في المسجد، وأن الأرض تطهر بالماء من غير حاجة إلى حفرها ١/٢٣٦ رقم (٢٨٤).

- وعنه ﷺ قال: **خدمتُ رسول الله ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي: أفٍّ قطُّ ولا قال لي لشيء لِمَ فعلتَ كذا؟ وهلاَّ فعلتَ كذا؟!** [١]

٢- حرص المعلم على الازدياد من العلم: (التعلم المستمر)

تعتبر مواصلة العلم والاستزادة الدائمة من المعارف من أهم مسؤوليات المعلّم، لإعداد شخصيته لمواكبة تطور البحث العلمي، وهذا ما عناه البخاري بقوله في الباب السادس من كتاب العلم: (ما جاء في العلم وقوله تعالى: {وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا}[٢]، والباب الثاني والعشرون: (فضل العلم)، والباب السابع والأربعون: قول الله تعالى: {وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا}[٣].

على اعتبار أن المعلم يجب أن يكون أحسن متعلم، قال سعيد بن جبير: "لا يزال الرجل عالماً ما تعلّم، فإذا ترك التعلّم وظنّ أنه قد استغنى واكتفى بما عنده فهو أجهل ما يكون"[٤].

كما أن المعارف الضئيلة لدى المعلّم قلّما تثير أذهان الطلاب أو تحرك مخيلاتهم، فإذا اقتصر المعلم على تلقين ما عنده من المعارف القليلة لم يفد الطالب منها إلا أن يحفظها عن ظهر قلب، وقلما يفهمها فهماً منتجاً باعثاً على التفكير.

وكلما كانت إحاطة المعلّم بمادته أوسع، كان ميل الطلاب إليه أعظم فيحبونه ويعجبون به، ويقبلون عليه لما يجدون عنده من غزارة المادة وحسن التصرف في أطراف

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل ٢٢٤٥/٥ رقم (٥٦٩١)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا ١٨٠٤/٤ رقم (٢٣٠٩).

(٢) سورة طه، جزء من الآية رقم (١١٤).

(٣) سورة الإسراء، جزء من الآية (٨٥).

(٤) تذكرة السامع والمتكلم (ص: ٢٨).

البحث فإذا أردنا أن نكون معلمين صالحين، وجب علينا أن نملأ عقولنا من الموضوع الذي نعلمه، هذه قاعدة أولية من قواعد التعليم.

إن وظيفة المعلم هي تقديم الطالب لمجتمعه وتقديم ثقافة المجتمع للطالب، وهذا التقديم يتطلب من المعلم أن يعرف الثقافة بقدر ما يعرف الطالب، وهذا ما يدعو إليه الإمام البخاري في كتاب العلم من خلال الباب ١٠ بقوله: "العلم قبل القول والعمل".

والحد الأدنى للمعرفة بهذه الثقافة هو إدراك المعلم من كل علم ما ينفي عنه سمة الجهل، ولقد أصبح التربويون على يقين بأن المعلم في حاجة إلى معرفة عامة تتمثل في أساليب ومبادئ العلوم المختلفة، يمكن أن تضفي هذه المعرفة على أسلوب المعلّم مرونة في التعليم وتنوعاً في المعلومات التي يمكن أن يقيمها لطلابه حسب ما تمليه عليه المناسبة التربوية.

والمعلم في طلبه الاستزادة من العلم يجعل نصب عينيه الحقيقة العلمية فهي ضالته يلتقطها أنّى وجدها ولذلك يجب أن لا يستنكف أن يستفيد ما لا يعلمه ممن هو دونه منصبا أو نسبا أو سناً بل يكون حريصا على الفائدة حيث كانت.

وإلى مثل هذا يشير الإمام البخاري رحمه الله تعالى في الباب السادس عشر من كتاب العلم: بقوله: "باب ما يذكر في ذهاب موسى صلى الله عليه وسلم في البحر إلى الخضر، وقوله تعالى: {قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا}[1]، فطلب سيدنا موسى عليه السلام الاستزادة من العلم هو في حد ذاته طلب للحقيقة العلمية، واستفادة الفاضل من المفضول.

وكلفه طلب العلم تحمل مشاق السفر برّاً وبحراً. وبهذا يحقّ لنا القول أن سيدنا موسى عليه السلام أصّل مفهوم الرحلة في طلب العلم، وفي هذا يقول الإمام الشعبي

(١) سورة الكهف، الآية (٦٦).

رحمه الله: "لو أن رجلا سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن لحفظ كلمة تنفعه فيما بقي من عمره لم أر سفره يضيع". (١)

والأهداف المستفادة من الرحلة هي: طلب المعرفة، وضبطها، ونشرها.

والحقيقة العلمية يمكن الوصول إليها في عصرنا الحالي عبر العديد من الوسائل التي تنشر المعلومات مثل: شبكة المعلومات الدولية (الأنترنيت)، والمراسلات العلمية مع الآخر، وطبع منشورات تسهّل مرور المعلومة، وهذا يلائم قصد البخاري في الباب السابع من كتاب العلم إذ قال: ما يذكر من المناولة وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان.

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٤٣/٢).

القاعدة السادسة: طرق التدريس

إن أساليب التدريس وطرائقه ليست واحدة في كل عصر وفي كل مجتمع، بل هي وليدة ظروف وحاجات ومطالب اجتماعية معيّنة، ومِن ثمّ فهي تتغير كلما تغيرت الأهداف التعليمية والاهتمامات التربوية لمواجهة متطلبات المجتمع وحاجاته، كما يشملها التعديل والتبديل كلما تعددت وتنوعت مصادر المعرفة، وكلما لفحت رياح التغيير ثقافة المجتمع، أو شملت توقعات أفرادهم وآمالهم.

ومن هنا يجب أن نحكم على صلاحية طرق التدريس وأساليبه عند أي معلم في ضوء متطلبات عصره الذي يعيش فيه، إلا أن هذا كله لا ينفي وجود ثوابت في طرق التدريس لا يمكن للعملية التعليمية النجاح دون تطبيقها. وسأحاوِلُ صياغتها من خلال عناوين حسب تسلسلها المنطقي. وهي:

١- **الوضع المكاني**:

كان انتباه معظم الباحثين المعاصرين يتركز على المؤسسات التعليمية ولا سيما المدرسة، وإلى حدٍّمَا الكُتّاب. والحق أن المدرسة تمثل أسمى إنجازات النظام التعليمي الإسلامي، لذا فهي تستحق كل اهتمام، ولكن ينبغي أن لا يغيب عن بالنا أن المدرسة لم تظهر إلى الوجود إلا في القرن الخامس الهجري، ثم إن المدرسة لم تكن ظاهرة مفاجئة وإنما هي حصيلة لتطور النظام التعليمي الإسلامي عبر ما لا يقل عن أربعة قرون، هذا النظام الذي استخدم التنوع المكاني حسب حاجات المتعلّمين، والموضوع المراد ذكره.

ومن الأماكن التي كان ينشر فيها العلم: المسجد، والبساتين، والسوق...

- ومن ذلك ما يرويه عبد الله بن عمر ﷺ أن رجلاً قام في المسجد فقال يا رسول الله من أين تأمرنا أن نهلّ؟ فقال رسول الله ﷺ: (**يهلّ أهل المدينة من ذي**

الحليفة.....)[١]، عنون البخاري هذا الحديث في كتاب العلم بـ باب ذكر العلم والفتيا في المسجد.

- وعنه ﷺ قال: **رأيتُ النبي ﷺ عند الجمرة وهو يُسأل فقال رجل: يا رسول الله نحرتُ قبل أن أرمي...** "[٢].

فترجم البخاري لهذا الحديث بـ: باب السؤال والفتيا عند رمي الجمار.

- وعن عمرو بن العاص ﷺ أن رسول الله ﷺ وقف [على ناقته] في حجة الوداع بمنى للناس يسألونه فجاءه رجل... "[٣].

فعنونه له البخاري بـ: باب الفتيا وهو واقف على الدابة وغيرها. يستفاد من هذه الأحاديث أمران:

- جواز سؤال الطالب معلّمه في جميع الأحوال.
- ينبغي على المعلم أن يكون مربياً في جميع الأحوال.

وهذا يدل على أن الهاجس الأساسي عند المتعلّمين هو التعلّم مهما تنوعت الأماكن.

وهذا التنوع المكاني في تحصيل العلم يعتبر حافزا تربوياً، حيث نجد أن هذه الحوافز تنبعث من طبيعة البيئة التعليمية وأحداثها وميادينها، وتأخذ اتجاهاً عملياً يحرك الناس ضمن الحقل التعليمي ذاته.

وَحَثُّ العلماءِ في العصر الحاضر على تنظيم رحلات تعليمية إلى الغابات والبحار والآثار وغيرها... ما هو إلا امتدادٌ لما ذكر من تنوع الأماكن لتحقيق المبتغى التعليمي.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب ذكر العلم والفتيا في المسجد ٦١/١ رقم (١٣٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب السؤال والفتيا عند رمي الجمار ٥٨/١ رقم (١٢٤).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب الفتيا وهو واقف على الدابة وغيرها ٤٣/١ رقم (٨٣).

٢- المؤثرات الصوتية:

إن المؤثرات الصوتية لها دور كبير في نجاح العملية التعليمية، لأن المعلّم إذا أراد أن يسمع متعلّميه فلا بدّ من رفع صوته ليُسمعهم قوله، خاصة وأن من متطلبات الانتباه الحسي والسمعي، الصوت الذي يصل مستوى معيّناً من الارتفاع. ويطبّق مثل هذا المبدأ اليوم في التعليم باستخدام مكبرات الصوت لتسهيل توصيل وتبليغ الرسائل التعليمية اللفظية.

كما أنه يجب على المعلّم استخدام مهارات خطابية في أدائه اللفظي مثل تغيير نبرات الصوت علوّاً وخفضاً، وذلك للفصل بين الموضوعات وشدّ الانتباه.

ورسول الله ﷺ بصفته معلّماً ومربي استعمل هذا المنهج التربوي المتعلق بالتحكّم في الصوت حسب الزمان والمكان والمخاطب والموضوع، من ذلك:

ما رواه عبد الله بن عمر ﷺ قائلاً: **(تَخَلَّفَ عَنَّا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم في سفرة سفرناها، فَأَدْرَكَنَا - وَقَدْ أَرْهَقَتْنَا الصَّلَاةُ - وَنَحْنُ نَتَوَضَّأُ، فَجَعَلْنَا نَمْسَحُ عَلَى أَرْجُلِنَا، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: (وَيْلٌ للأعقاب من النار). مرتين أو ثلاثا)** [(١)].

ففي هذا الحديث قواعد تعليمية واضحة تتمثل فيما يلي:

- استخدام القدرات الصوتية من رفعٍ وخفضٍ تبعاً للموقف التعليمي والتربوي.
- تكرار المعلّم للمعلومة للتأكيد عليها، أو للتصحيح، أو لتنبيه الغافل.

وممّا يدخل في هذا الموضوع، إثارة انتباه المعلّم إلى إبداء الغضب عند رؤية سلوكٍ تربوي خاطئ، وهو بذلك يقتدي بالرسول ﷺ عندما كان يتمثل انفعالياً، بما يقول بالتعبير الجسمي والحركي خصوصاً في الغضب إذا تجرّأ أحدهم على حدّ من حدود الله، أو فعل شيئاً تضرّر منه المسلمون الآخرون، وإن كان عبادة مثل الصلاة.

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب من رفع صوته بالعلم ٣٣/١ رقم (٦٠)، ومسلم: كتاب الطهارة، باب وجوب غسل الرجلين بكمالهما ٢١٤/١ رقم (٢٤١).

فعن أبي مسعود الأنصاري ﷺ قال: (قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا أَكَادُ أُدْرِكُ[١] الصَّلَاةَ مِمَّا يُطَوِّلُ بِنَا فُلَانٌ، فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْ يَوْمِئِذٍ، فَقَالَ: (أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ مُنَفِّرُونَ، فَمَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ المريض والضعيف وذا الحاجة). [٢]

٣- السلوك الحركي والوضع الجسمي:

السلوك الحركي والوضع الجسمي أثناء الدرس المقصود به التعبير غير الشفهي المدعم بالحركات الجسمية المختلفة تفاعلا مع الموقف، أو توضيحاً للحالة الانفعالية للموقف التعليمي أو زيادة في توضيح المحتوى المعرفي المقصود ومن ذلك:

۞ التعبير بإشارة اليد والرأس:

الملاحظ أن المعلّم يستخدم الإشارة باليد والرأس مختصراً التعبير اللفظي الموضح لما يريد، وليس هذا شَحًّا أو فقداناً للأسلوب التعبيري المناسب، ولكن لزيادة فعالية التعلّم، ولإشراك المتعلّم في إدراك المراد من الموضوعات المشار إليها، وللتمثيل عن التلازم والتقارب، ولفتح المزيد من الحرية التعليمية والتعبيرية أمام المتعلّم.

(١) قال القاضي عياض: ظاهره مشكل لأن التطويل يقتضي الإدراك لا عدمه قال فكأن الألف زيدت بعد لا وكأن أدرك كانت أترك، قلت: هو توجيه حسن لو ساعدته الرواية. وقال أبو الزناد بن سراج: معناه أنه كان به ضعف فكان إذا طول به الإمام في القيام لا يبلغ الركوع إلا وقد ازداد ضعفه فلا يكاد يتم معه الصلاة، قلت: وهو معنى حسن لكن رواه المصنف عن الفريابي عن سفيان بهذا الإسناد بلفظ (إني لأتأخر عن الصلاة)، فعلى هذا فمراده بقوله (إني لا أكاد أدرك الصلاة) أي لا أقرب من الصلاة في الجماعة، بل أتأخر عنها أحيانا من أجل التطويل. فتح الباري ١٨٦/١

(٢) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره ٤٦/١ رقم (٩٠).

ومن ذلك: ما رواه ابن عباس: (**أن النبي ﷺ سئل في حجته فقال: ذبحتُ قبل أن أرمي، فأومأ بيده قال: ولا حرج**)[١].

-وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقبضُ العلم ويظهرُ الجهلُ والفتنُ ويكثر الهرجُ**» قيل: **يا رسول الله! وما الهرج؟ فقال هكذا بيده فحرَّفها كأنه يريد القتل**). [٢]

يستفاد من هذين الحديثين ما يلي:

- استخدام المعلّم لبعض أجزاء جسده أحياناً كأصابع يده، أو الإشارة برأسه، أو عينه، للتأكيد، أو الموافقة، أو المخالفة أو التحذير من سلوكٍ خاطئ أو نحو ذلك، لتقوية العملية التعليمية.

- على المعلّم إيضاحُ المعلومات للطلاّب وإيصالُها إليهم بأقصر عبارة وأسهل أسلوب.

التعبير بالوجه: ممّا لا شك فيه أن الغضب تظهرُ أماراتُه على وجه المعلّم الذي يدل على استخدام الوجه للتفاعل مع الموْقف بما يلزم ذلك، إن كان فرحاً يُظهر السرور والبشر وغيرها من علامات الانفعال السار، وإن كان غير ذلك أظهر ما يدل عليه ممّا يساعد في اختصار الوقت واللفظ، وييسّر تبليغ الرسالة لأنه يشرك حواسًّا أخرى ويشدُّ الانتباه.

وتروي عائشة أن رسول الله ﷺ (**كان إِذَا أَمَرَهُمْ، أَمَرَهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ بِمَا يُطِيقُونَ، قَالُوا: إِنَّا لَسْنَا كَهَيْئَتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ**

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس ٤٤/١ رقم (٨٤).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس ٤٤/١ رقم (٨٥).

ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَغْضَبُ حَتَّى يُعْرَفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: (إِنَّ أَتْقَاكُمْ وأعلمكم بالله أنا). (١)

٤- مراعاة الفروق الفردية:

إن معرفة المعلّم بطلابه مِن أهمّ عوامل نجاحه في عمله وتوفيقه في أداء رسالته، إذ بهذه المعرفة يمكنه أن يوجّه عملية التعليم وِجهتَها الصحيحة، كما أن معرفة المعلّم بطلابه ينبغي أن تكون أكثر من معرفة الطلاب بأنفسهم، وذلك لما يتمتع به من العلم والخبرة وسعة الفهم، ولأن هذه المعرفة تمكّن المعلّم من مساعدة المتعلمين على بلوغ أهدافهم.

فالمعلّم يراعي الفروق الفردية بين المتعلّمين، ويقدر تفاوت حظوظهم في الذكاء والقدرات والاستعدادات العقلية، ويهتم بتمايزهم في الخصائص الوجدانية والطاقات الجسمانية، ممّا يقود إلى تفاوتهم في معدل التعلّم والتحصيل العلمي.

ومادام كل متعلّم فريد من نوعه، مختلف في سماته وقدراته عن كل مَن سواه، فإن المعلّم يخطئ إن لم يعلمه تعليماً مناسباً لحالته يختلف عن تعليم غيره

فعن أنس بن مالك ﷺ قال: (أَنّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمُعاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الراحل، قَالَ: (يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ). قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: (يَا مُعَاذُ). قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثَلَاثًا، قَالَ: (مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ). قَالَ: يَا

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أنا أعلمكم بالله). وأن المعرفة فعل القلب ١٦/١ رقم (٢٠).

رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: (إِذًا يَتَّكِلُوا). وَأَخْبَرَ بِهَا معاذ عند موته تأثما)[1].

فهم البخاري من هذا الحديث مراعاة القدرات الذهنية للمتعلمين، فترجم لهذا الحديث بقوله: باب (٤٩) من خصّ بالعلم قوماً دون قومٍ كراهية أن لا يفهموا. كما يؤخذ من هذا الحديث:

- جواز تخصيص المعلّم لفئة من المتعلّمين بمعلومات زائدة لما يلمسه فيهم من الضبط وصحة الفهم والنباهة.

- ضرورة استئذان المتعلّمين المعلّمَ في تبليغ معلومات معيّنة.

وينبغي على المعلّم أن لا يبخل عن المتعلّم بأنواع العلوم ما دام مؤهّلا لذلك، كما فعل رسول الله ﷺ مع عائشة حينما قال لها: «يا عائشة لو لا قومك حديثٌ عهدهم –قال ابن الزبير: بكفرٍ- لنقضتُ الكعبةَ فجعلتُ لها بابين: بابٌ يدخل الناس وباب يخرجون». ففعله ابنُ الزبير. [2]

وفي هذا الحديث ضوابط تعليمة نذكر منها:

- مخاطبة المتعلّمين بما يناسب إدراكهم.

- مراعاة الفروق الفردية عند المتعلّمين.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم، كراهية أن لا يفهموا ٥٩/١ رقم (٩٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا ٦١/١ رقم (٣٢)، ومعنى تأثما: قال أهل اللغة. تأثم الرجل إذا فعل فعلا يخرج به من الإثم. ومعنى تأثم معاذ أنه كان يحفظ علما يخاف فواته وذهابه بموته. فخشي أن يكون ممن كتم علما، وممن لم يمتثل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في تبليغ سنته. فيكون آثما، فاحتاط. المنهاج ٢٤٠/١.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقع في أشد منه ٥٩/١ رقم (١٢٦).

- العنايةُ بالضعفاء من الطلاب وإفهامُهم.

- استخدامُ الأسلوبِ المناسب لموقف التعليم.

- على المعلّم أن لا يلقي إلى المتعلّم عادي الذكاء ما لم يتأهّل له لأن ذلك يبدّد ذهنه.

وتنبّه المحدّثون إلى هذه المسألة التربوية في إعداد طلابهم بمراعاة مستوى النضج عند الطلاب.

٥- مبدأ التدرج في التعليم:

إن مبدأ التدرج من أهم المبادئ البدهية في العملية التعليمية، ولاسيما عندما يتعلّق الأمر بالمتعلّم في مراحل تعلّمه الأولى، حيث لا ينبغي أن نثقل عقله بكثير من المعارف والمعلومات، إذ يجب أن يكون تعليمه وتعلُّمه مبنيَيْن على التدرج شيئاً فشيئاً.

فالمتعلّم يجب أن يُعَلَّم على قدر فهمه وإدراكه، وتُقدَّمُ له المعلومات متدرجة، سواء تعلق ذلك بمحتويات المنهاج الدراسي أو تعلق الأمر بمضامين هذه المحتويات.

كما أنه ضروريٌّ للأداء الفعال، أن يُتَدَرَّجَ بالمتعلّم من السهل إلى الصعب، ومن المعلوم إلى المجهول، ومن البسيط إلى المركب، ومن الواضح إلى المبهم، ومن المحسوس إلى المعقول، ومن الجزئي إلى الكلي ومن المهم إلى الأهمّ، ومن الشاهد إلى الغائب، ومن الفهم إلى التحليل، ومن التحليل إلى التركيب.

وقد ركّز الإمام الماوردي على هذا المبدأ حينما قال: "للعلوم أوائل تؤدّي إلى أواخرها ومداخل تفضي إلى حقائقها، فليبدأ طالب العلم بأوائلها لينتهي إلى أواخرها وبمداخلها ليفضي إلى حقائقها". (١)

(١) أدب الدنيا والدين (ص: ٥٤).

وهذا كله يناسب صنيع الإمام البخاري في وضعه للكتب المكونة لجامعه الصحيح، وأبواب كل كتاب على حدة، إذ راعى مبدأ التدرج في وضعها.

٦- الأسلوب الحواري:

أصبح التعليم عن طريق الحوار أسلوبا تعليميا معتمداً، ومعناه: تعليم الناشئ عن طريق "التحاور" معه بعد تحضير الأسئلة تحضيراً يجعل كل سؤال ينبني على الجواب المأخوذ من المتعلّم على نحو يجعل المتعلّم يشعر في نفسه بأن النتائج التي توصل إليها ليست جديدة عليه... فيصل المتعلّم إلى المعلومات التي يراد إقناعه بها دون كبير عناء ودون أن يشعر أنها مفروضة عليه ودون أن يجد غرابة أو صعوبةً في تلقي هذه المعلومات والاقتناع بها وتبنيها، فالمربي يرجع إلى المتعلم ما يأخذه منه بالاستجواب بعد أن يبني عليه المعلومات الجديدة التي تلزم عنه لزوماً منطقياً فطريا بديهيا، وقد سبق القرآن والسنة إلى أسلوب الحوار بشتى أشكاله وصيغه فكان أسلوباً ناجحاً مبسطاً ميسراً تمارس من خلاله الدعوة إلى الله.

ولنضرب على ذلك مثلا من سنة رسول الله ﷺ، **حينما أتى فتًى شابٌّ إلى رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا. فأقبل القوم عليه فزجروه قالوا: مه مه، فقال ﷺ: «ادْنُه»، فدنا منه قريباً قال: فجلس، قال: أتحبه لأمك». قال: لا والله جعلني الله فداك. قال: «ولا الناسُ يحبونه لأمهاتهم» قال: «أفتحبه لابنتك». قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك قال: ولا الناسُ يحبونه....** (١).

(١) أخرجه أحمد في المسند ٥٤٥/٣٦ رقم (٢٢٢١١)، والطبراني في المعجم الكبير ١٦٢/٨ رقم (٧٦٧٩)، ١٨٣/٨ رقم (٧٧٥٩)، والبيهقي في الشعب، باب في تحريم الفروج وما يجب من التعفف عنها ٣٦٢/٤ رقم (٥٤١٥) من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٩/١): " ورجاله رجال الصحيح".

فأسلوب رسول الله ﷺ جميعه مبني على الحوار والإقناع، ودفع الشبهة بالحجة، كيف لا وخُلُقُهُ صلى الله عليه وسلم القرآن الذي حاور الله سبحانه وتعالى فيه ملائكته ورسله، بل حاور حتى العصاة وعلى رأسهم إبليس.

وجعل رسول الله ﷺ من الأسلوب الحواري ركيزة أساسية في المنهج التعليمي حتى يتيح للمتعلم فرص المشاركة بنشاطه الذاتي في العملية التعليمية، وذلك بهدف إثارة ذهن المتعلّم وتحفيزه على التفكير والكشف عن الحقائق والخبرات والمعارف المختلفة. هذه الطريقة تساعد على اكتساب مهارات الاتصال، خاصةً مهارات الاستماع والكلام وإدارة الحوار، كما أنها تكسب المتعلّم أساليب وآداب النقاش القائمة على نظام احترام الآراء.

كما أن هذا الأسلوب يتيح للمتعلّم الفرصة للتحدث في موضوعات تهمه، ومشاكل تشغله، وبذلك فهو يشعر بقيمة التعليم وأهميته في حياته فيزداد إقباله عليه وتفاعله مع الأنشطة التعليمية.

٧- التَّكرار:

يعتبر التَّكرار من أهم الوسائل المساعدة على التعلّم، واهتمت السّنة النبوية بوسيلة التَّكرار لفعّاليتها في شرح وتثبيت كثير من القواعد والتعاليم الدينية، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلك في تعليمه منهج التكرار، ولا يعجّل حتى يعي الناس عنه ما يقول ويفهموا ما يطرحه عليهم ويستوعبوا ما يوجههم إليه، ويتيقنوا مما يأمرهم به.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ **أنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً.** (١)

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه ٤٨/١ رقم (٩٥).

ويظهر أن التَّكرار عملية أساسية للتعليم وترسيخ المعلومات وتخزينها بالذاكرة، وقد بيّنت كثير من التجارب الحديثة التي أجريت في الميادين التي تهتم بظاهرة الذاكرة والتعلّم أن للتكرار دوراً أساسياً في عمليات التعلّم والذاكرة.

وقد ورد هذا الأسلوب في القرآن الكريم من خلال تكرار القصة بعينها، ولكن بطرق مختلفة في غير ما موضع، في صور مختلفة في التقديم والتأخير والإيجاز والإطناب وما شابه ذلك.

ومن حكمة هذا التَّكرار بيان بلاغة القرآن الكريم في أعلى مراتبها، ومن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة كما هو الحال في قصة النبي موسى عليه السلام مع فرعون.

٨- **التنظيم الزمني**:

التنظيم التعليمي يرتبط بحاجة وظروف المتعلّمين بصورة كبيرة، ولهذا كان لزاماً وضع تنظيم زماني يراعي استعداد المتعلّمين لتقبل العلم. وهذا ينبثق من صميم الدين الإسلامي الذي جعل أوقاتاً معلومة تمكّن المسلم من تلقّي العلم. وأول ما يدل على ذلك خطبة الجمعة الأسبوعية، وكذلك ما كان يفعله النبي صلى الله عليه وسلم من تخوّل الصحابة بالموعظة المنتظمة.

وكان العلماء يحددون الوقت لمجالس المذاكرة ليتفرغ لها الشيوخ والطلاب.

قال السمعاني: "وينبغي للمملي أن يعيّن لأصحابه يوم المجلس، لئلا ينقطعوا عن أشغالهم وليستعدّوا لإتيانه، ويعد بعضهم بعضاً وَإذا عيّن لهم اليوم، فلا ينبغي له إخلاف موعده إلا أن يقتطعه عن ذلك أمر يقوم عذره به" [(١)].

(١) أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني (ص: ٣٨ -٣٩).

فعن أبي وائل عبد الله بن شقيق «أن عبد الله بن مسعود كان يذَكِّر الناس في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن! لوددتُ أنك ذكَّرتَنا كل يوم. قال: أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملَّكم، وإني أتخوّلكم بالموعظة كما كان النبي ﷺ يتخوّلُنا بها مخافة السآمة علينا». [١]

يستفاد من هذا الخبر المحددات التعليمية الآتية:

- مراعاة القدرات التحصيلية لدى الطلاب.
- ضرورة إعداد البرامج التعليمية المناسبة لاستعدادهم.
- رحمةُ المعلِّم بالمتعلِّمين والرفق بهم مخافة حصول الملل والسآمة عليهم.

فهذه سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم في التعليم، علّم بها صحابته وعلّمها لهم فخرّج بها جيلاً يُعتبر بحقٍّ فخراً للبشرية.

كما أن للمذاكرة أوقات، ينبغي العناية بها والحرص عليها.

قال أحمد بن الفرات: "لم نزل نسمع شيوخنا يذكرون أشياء في الحفظ، وأجمعوا على أنه ليس شيء أبلغ فيه، إلا كثرة النظر وحفظ الليل غالب على حفظ النهار" [٢].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخوّلهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ٣٨/١ رقم (٦٨). وفي باب من جعل لأهل العلم أياماً معلومة ٣٩/١ رقم (٧٠)، ومسلم: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب الاقتصاد في الموعظة ٢١٧٢/٤ رقم (٢٨٢١).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢٦٥/٢).

القاعدة السابعة: آداب المتعلم

الأمر الذي لا يختلف فيه أحد أن العلم –بطبيعته الأبيّة- لا يُسلم قياده لأي أحد، بل إنه ينزل ضيفاً عزيزاً على من كان أهلا لاستضافته. هذه الأهلية التي لا تتأتى إلا لمن توفرت فيه خصال وخلال، وهي أكثر من أن تحصى بعضها جِبِلّي، وأغلبها مكتسب.

ويمكننا أن نحصر آداب المتعلّم في أربع ركائز هي أساس نجاحه حتى يبلغ الهدف المنشود وهذه الركائز هي:

١- آدابه مع المعلم:

درج العلماء على إجلال العالم وتوقيره، وَلَقَّنَهُ سلفهم لخلفهم، وطبقوه في تعاملهم وتصرفاتهم ليقتدي اللاحق بالسابق، وليتأسى الطالب بشيوخه وأساتذته في طرق تعاملهم وتأدبهم في مجالس العلماء، وهذا التعظيم والتشريف من الطالب للعالم لا يتم إلا بالتحلِّي بالآداب الآتية:

- **التواضع للمعلِّم:**

إن من أهم المقومات اللازم توفرها في طالب العلم التواضع لمن يعلّمه.

عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «ما نقصت صدقة من مال وما زاد اللهُ عبداً بعفوٍ إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»[(١)].

وقال عبد الله بن المعتز رحمه الله: "المتواضع في طُلاّب العلم أكثرهم علماً، كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماء"[(٢)].

(١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع ٤/٢٠٠١ رقم (٢٥٨٨).
(٢) الجامع للخطيب (١/١٩٨).

ولا بد أن يكون هذا التواضع نابعاً من صدق مقصد لا رياء فيه ولا تكلف، ولا تصنّع مرهون بمصلحة مؤقتة يزول بزوالها، وفي حديث جبريل عليه السلام الذي سبق ذكره وفيه: «حتى أسند ركبتيه إلى ركبتيه ...» إلى أن قال: «إنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»[١].

قال الطِّيبي: "إنما جلس هكذا ليتعلم الحاضرون جلوس السائل عند المسؤول؛ لأن الجلوس على الركبة أقرب إلى التواضع والأدب، واتصال ركبة السائل بركبة المسئول يكون أبلغ في استماع كل واحد من السائل والمسئول كلام صاحبه وأبلغ في حضور القلب، وألزم للجواب؛ لأن الجلوس على هذه الهيئة دليل على شدة حاجة السائل إلى السؤال وتعلق قلبه واهتمامه إلى استماع الجواب، فإذا عرف المسؤول هذا الحرص والاحتياج من السائل إلى السؤال يلزم على نفسه جوابه، ويبالغ في الجواب أكثر وأتم مما سأل السائل". [٢]

إن على طالب العلم احترام العلماء وتقديرهم، وأن يتسع صدره لما يحصل من اختلاف بين العلماء وغيرهم، وأن ينظر إلى معلمه بعين إجلال ويعرف له حقه ولا ينسى له فضله.

قال شعبة رحمه الله: "كنت إذا سمعت من الرجل الحديث كنت له عبداً ما حيي"[٣]، وأن يصبر على جفوة تصدر منه أو سوء خلق، ولا يصدّه ذلك عن ملازمته.

وأن يحسن خطابه معه بقدر الإمكان، فإن أراد الاستفادة تلطَّف في الوصول إلى ذلك. وإذا سمعه يذكر حُكماً في مسألة أو فائدة مستغربة أو يحكي حكاية أو ينشد

---

(١) حديث صحيح سبق تخريجه في القاعدة الخامسة صفحة (٢١).

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (٤٢٢/٢).

(٣) ينظر: الجامع للخطيب (١٩٩/١)، جامع بيان العلم (١٢٧/١)، الإلماع للقاضي عياض (ص٢٢٧).

شعراً وهو يحفظ ذلك أصغى إليه إصغاء مستفيد له في الحال، متعطش إليه فرحٍ به كأنه لم يسمعه قط.

قال عطاء رحمه الله: "إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به منه فأريه من نفسي أني لا أحسن منه شيئاً" [(١)].

قال حمدان بن الأصفهاني رحمه الله: "كنتُ عند شريك فأتاه بعض أولاد الخليفة المهدي فاستند إلى الحائط وسأله عن حديث فلم يلتفت إليه، وأقبل علينا، ثم عاد فعاد شريكٌ لمثل ذلك فقال: أتستخفّ بأولاد الخلفاء؟ قال: لا، ولكن العلمَ أجلُّ عند اللّه من أن أضيّعه، فجثا على ركبتيه، فقال شريك: هكذا يطلب العلم"[(٢)]، وهذا التواضع والاحترام من المتعلم تجاه معلمه هو ما ضمنه البخاري في الباب التاسع والعشرين من كتاب العلم حينما قال: "من برك على ركبتيه عند الإمام أو المحدث".

وهذا المنهج الأخلاقي الرفيع طبع عليه الصحابة الكرام. فعن الشعبي رحمه الله قال: "أمسك ابن عباس بركاب زيد بن ثابت، فقال: أتمسك لي وأنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: إنّا هكذا نصنع بالعلماء"[(٣)].

- **أدب الاستماع وحسن التصرف في المجلس:**

يرى بعض المربين أن الاستماع الجيد نوع من أنواع القراءة لأنه وسيلة إلى الفهم وإلى الاتصال اللغوي بين المتكلم والسامع، فإذا كانت القراءة الصامتة قراءة العين، والقراءة الجهرية قراءة بالعين واللسان، فإن الاستماع قراءة الأذن.

وتنمية مهارة الاستماع الجيد أمر ضروري للمتعلمين، وأمر ضروري للمعلم يساعده على إيصال المعلومة وضبط الفصل وحسن إدارته.

---

(١) ينظر: حلية الأولياء (٣/٣١١)، وصفة الصفوة لابن الجوزي (٢/٢١٤).

(٢) ينظر: أدب الإملاء (ص: ١٣٣)، الجامع للخطيب (١/١٩٨)، كتاب العلم للنووي (ص: ١٠٥).

(٣) ينظر: الجامع للخطيب (١/١٨٨)، جامع بيان العلم وفضله (١/١٢٨)، سير أعلام النبلاء (٢/٤٣٧).

ومن الأدب الذي كان يحرص عليه المحدثون في مجلس المحدّث: الصمت والسكون، فعن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: «أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير»(١).

ولقد بلغ من شدة توقير المحدثين لتلك المجالس ألا يتحدث أحد في المجلس، أو يبري قلماً أو يضحك فالإنصات في مجلس المحدث أمر ضروري أدباً وانتفاعاً بما يسمع من حديث، قال الضحاك بن مزاحم: "أول باب من العلم: الصمت، والثاني: استماعه، والثالث: العمل به، والرابع: نشره وتعليمه"(٢).

وعن جرير بن عبد الله البجلي قال: قال لي رسول الله ﷺ في حجة الوداع: **«استنصت الناس» ثم قال: «لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض»**. (٣)

قال النووي: "وقوله «استنصت الناس» معناه مرهم بالإنصات ليسمعوا هذه الأمور المهمة، والقواعد التي سأقررها لكم وأحمّلكموها". (٤)

ونظراً لأهمية الإنصات والإصغاء في التحصيل العلمي فقد جُعل واجباً في خطبة الجمعة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ قال: **(إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والإمام يخطب فقد لغوت)**. (٥)

---

(١) أخرجه: أبو داود في السنن: كتاب الطب، باب الرجل يتداوى ٣/٤ رقم (٣٨٥٥)، أحمد في المسند ٣٩٤/٣٠ رقم (١٨٤٥٣)، والحاكم في المستدرك: كتاب العلم، فصل: في توقير العالم ٢٠٩/١ رقم (٤١٦) وقال: هذا حديث صحيح، ولم يخرجاه. وسكت عنه الذهبي.

(٢) ينظر: أدب الإملاء (ص: ١٤٤)، والجامع للخطيب (١٩٤/١)، وجامع بيان العلم وفضله (١٣٨/١).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء ٥٦/١ رقم (١٢١)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان معنى قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا ترجعوا بعد كفارا ٨١/١ رقم (٦٥).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (٥٦/٢).

(٥) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة، باب الإنصات يوم الجمعة ٣١٦/١ رقم (٨٩٢)، ومسلم: كتاب الجمعة، باب الإنصات يوم الجمعة في الخطبة ٥٨٣/٢ رقم (٨٥١).

وفي هذا الحديث تظهر ضرورة الإنصات حيث قُدم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويدل هذا على أن للإنصاتِ والتركيزِ مع المُلقي أهمية قصوى في التعليم لأن التحصيل الجيد لا يكون إلا بالاستماع المركز.

وأدب الاستماع والصمت داخل الفصل الدراسي، والقاعة الدراسية لا يتحقق إلا بحرص المتعلّمين على التبكير بالحضور تجنبا للتشويش على الدرس جراء التأخير، وإذا حصل وتأخر طالب فعليه أن يتأدب بأدب الفصل وذلك بجلوسه حيث ينتهي به المجلس، ويكره أن يقيم أحداً، ويجلس مكانه. فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(لا يقيمنّ أحدكم أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه)**[1].

وهذا الأدب الرفيع في مجالس العلم هو ما يقصده البخاري بقوله في الباب الثامن من كتاب العلم: "من قعد حيث ينتهي به المجلس ومَن رأى فرجة في الحلقة فجلس فيها".

- **أدب السؤال:**

من بين الطرق التّعْلِيمية التَّعَلُّمية التي تعرّض لها المربّون في الفكر التربوي الإسلامي ومارسها الشيوخ والمدرسون مع الطلاب والمتعلمين في الدرس، الطريقة الحوارية التي تعتبر شكلا من أشكال التواصل البديهي بين المفيد والمستفيد.

ومن أهمّ أدوات وتقنيات هذه الطريقة التعليمية التعلمية، السؤال كمكون بديهيا سواء كان السؤال صادر عن المعلم في إطار التعليم أو كان صادراً عن المتعلم في

(١) أخرجه البخاري: كتاب الاستئذان، باب: لا يقيم الرجلُ الرجلَ من مجلس ٢٣١٣/٥ رقم (٥٩١٤)، ومسلم: كتاب السلام، باب تحريم إقامة الإنسان من موضعه المباح الذي سبق إليه ١٧١٤/٤ رقم (٢١٧٧).

إطار التعلّم، والسؤال وسيلة من وسائل التعلم يكتشف بها الإنسان حقيقة ما يجهله من أمور. لذا حثّ الله سبحانه وتعالى على السؤال وأمر بأن يلتمس العلم من أهله، وإلا لم تكن هناك فائدة من السؤال: قال تعالى: {فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}[١]، ولأن السؤال مرآة عاكسة لعقلية السائل، فهو أداة لإبراز ذهن السائل ومدى استيعابه للأمور، وتنظيم الأفكار ووضوح الرؤية من خلال ذلك.

وللسؤال آداب يجب أن تراعى، وطرق يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار لكي تتحقق الفائدة المرجوة منه. وإلى مثل هذه الآداب يشير الإمام البخاري رحمه الله بقوله في الباب السادس والثلاثون: (من سمع شيئا فراجع حتى يعرفه). ولهذا الغرض وجّه زيد بن أسلم تلميذه محمد بن عجلان إلى أن يتعلم حسن السؤال قبل السؤال[٢]. فلا يسأل لمجرد غرض السؤال، ولا يسأل إلا بعد أن يحدد المسألة الغامضة في ذهنه ليعين المسؤول على تحديد الجواب ودقته.

وإذا كان المعلّم مسترسلا في إلقاء الدرس فعرض للطالب في خلاله شيء أراد السؤال عنه فعليه أن لا يسأل في تلك الحال، بل يصبر حتى يُنهي المعلّم حديثه ثم يسأل عما عرض له[٣]. حتى لا يفسد على السامعين سماعهم، ويشغل ذهن المحدّث، فإذا صبر وتأنى نال بغيته والتزم بآداب المجلس.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: (بَيْنَمَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم في مجلس يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟. فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يسمع. حتى إذ قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: (أَيْنَ - أُرَاهُ - السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ). قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ،

(١) سورة النحل، من الآية (٤٣).

(٢) من أدب المحدثين في التربية والتعليم (ص: ٧٦).

(٣) الجامع للخطيب (٢١١/١) بتصرف.

قال: (فإذا ضعيت الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ). قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: (إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ الساعة)[١].

ترجم البخاري للحديث بقوله: باب من سئل علما وهو مشتغل بحديث فأتم الحديث ثم أجاب السائل.

قال الحافظ ابن حجر: "محصله التنبيه على أدب العالم والمتعلم، أما العالم فلما تضمنه من ترك زجر السائل، بل أدبه بالإعراض عنه أولاً حتى استوفى ما كان فيه، ثم رجع إلى جوابه فرفق به لأنه من الأعراب وهم جفاة. وفيه العناية بجواب سؤال السائل ولو لم يكن السؤال متعيناً ولا الجواب. وأما المتعلّم فلما تضمنه مِن أدب السائل أن لا يسأل العالم وهو مشتغل بغيره لأن حق الأول مقدّم. ويؤخذ منه أخذ الدروس على السّبق، وكذلك الفتاوى والحكومات ونحوها. وفيه مراجعة العالم إذا لم يفهم ما يجيب به حتى يتضح، لقوله: كيف إضاعتها، وبوّب عليه ابن حبان "إباحة إعفاء المسؤول عن الإجابة على الفور" ولكن سياق القصة يدل على أن ذلك ليس على الإطلاق، وفيه إشارة إلى أن العلم سؤال وجواب ومن ثم قيل: حسن السؤال نصف العلم". [٢]

٢- الحرص على طلب العلم:

حرص الإسلام على توجيه أتباعه إلى أهمية استمرارهم في طلب العلم من المهد إلى اللحد، وبشرهم بثواب الحرص على التعلّم، وبيّن لهم فضل العلم في الحياة الدنيا وفي الآخرة، قال الله عزّ وجل: {أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب من سئل علما وهو مشتغل بحديث فأتم الحديث ثم أجاب السائل ٣٣/١ رقم (٥٩).

(٢) فتح الباري (١٤٢/١).

رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ } [(١)]. ففهم أصحاب رسول الله ﷺ ذلك واستوعبوه وامتثلوه فصاروا حريصين ألاّ يفوتهم شيء من العلم مع رسول الله ﷺ.

- فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: **(كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنْ الْأَنْصَارِ، فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ، وَهِيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ، وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَنْزِلُ يَوْمًا وَ أَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ.....**)[(٢)].

قال الحافظ ابن حجر: "وفيه أن الطالب لا يغفل عن النظر في أمر معاشه ليستعين على طلب العلم وغيره مع أخذه الحزم في السؤال عما يفوته يوم غيبته". [(٣)]

فعلى الطالب أن يبادر في طلب العلم والحرص عليه لأن يوم الطالب في التعليم والتعلّم أفضل من غده، وأفضل منه أمْسُه، والانسان كلما كبر كثرت عوائقه، ومن هذه المعيقات الوثوق بالذكاء فكثير من فاته العلم بركونه إلى ذكائه وتسويفه أيام الاشتغال، ومنها أيضاً التنقل من عِلْمٍ قبل إتقانه إلى علم آخر أو ومن شيخ إلى آخر.

ولهذا حث السلف على طلب العلم والدأب في جمعه والعناية به، واهتموا بذلك في الحضر وضربوا له أكباد الإبل في السفر والرحلة، وكان يحدوهم في طلبه والاهتمام بذلك، حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إنما العلم بالتعلم والفقه بالتفقه، ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)** [(٤)].

---

(١) سورة الزمر الآية (٩).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب التناوب في العلم ٤٦/١ رقم (٨٩).

(٣) فتح الباري (١٨٦/١).

(٤) حديث صحيح سبق تخريجه في القاعدة الثالثة في الصفحة رقم (١٢).

فعن أبي الأحوص قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "إن الرجل لا يولد عالما، وإنما العلم بالتعلم"(١).

وعن علي رضي الله عنه قال: "العلم ضالة المؤمن فخذوه ولو من أيدي المشركين، ولا يأنف أحدكم أن يأخذ الحكمة ممَّن سمعها منه"(٢). "ولا يقنع من العلم بالقليل بل يطلب العلم حتى الممات" كما قال ابن المبارك (٣).

ولأن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة والفريضة لا تنقطع إلا بالموت أو بالعذر الشرعي. وهذا الحرص الجاد على طلب العلم هو سمة الطائفة التي جاء التنويه بها في قوله عز وجل: {وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} (٤)، فإذا تلاشى في الأمة الحرص على طلب العلم لن توجد هذه الطائفة.

ومظاهر الحرص على التعلم تتجلى في مبادئ عديدة منها: الجرأة في طلب العلم، والمذاكرة، والخروج في طلب العلم.

أ- الجرأة في طلب العلم: إن العلم كما هو معروف ينبغي أن يبدأ من دافع داخلي ذاتي يحرك في أعماق طالبه الرغبة والشوق إلى التعلم، وإذا كان هذا الوازع قوياً أكسب المرء الجرأة على تجاوز الحواجز النفسية، والمعيقات المادية. وأما من لم يكن فيه هذا الوازع فإن أقلَّ هاجس نفسي يثبّطه، وأوهنَ عائق يردّه.

عن عبد الله بن عمر ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَهِيَ مَثَلُ الْمُسْلِمِ، حَدِّثُونِي مَا هِيَ). فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ**

(١) جامع بيان العلم وفضله (٤٢٠/١).
(٢) المصدر السابق (٤٢١/١).
(٣) المصدر السابق (٤٠٦/١).
(٤) سورة التوبة الآية (١٢٢).

الْبَادِيَةِ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، قَالَ عبد اللَّهِ: فَاسْتَحْيَيْتُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنَا بِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (هِيَ النَّخْلَةُ). قَالَ عبد اللَّهِ: فَحَدَّثْتُ أَبِي بِمَا وَقَعَ فِي نَفْسِي، فَقَالَ: لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي كذا وكذا) [(١)].

وبوّب له البخاري بـ: "الحياء في العلم"، وأكد على ذلك بأن قال: وقال مجاهد: "لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر".

وقالت عائشة: نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين"[(٢)].

وتأسّف عمر رضي الله عنه لكون ابنه عبد الله لم يخبر بالجواب وأنه استعمل الحياء في غير موضعه، وهذا ما بينه الحافظ ابن حجر حينما قال: "... وأما ما يقع سببا لترك أمر شرعي فهو مذموم، وليس هو بحياء شرعي وإنما هو ضعف ومهانة"[(٣)].

وقد حثّ العلماء طالب العلم في حالة ما إذا كان السؤال من العالم عن فهم الدرس أن يلزم نفسه الصدق مع أستاذه، فإن لم يفهم طلب إفهامه، قال الزهري: " العلم خزائن ومفتاحه المسألة، وإذا قال له الشيخ: أفهمت؟ فلا يقل نعم قبل أن يتضح له المقصود من المسألة إيضاحا جليا؛ لئلا يكذب ولا يستحي من قوله لم أفهم؛ لأن استثباته يحصل له مصالح عاجلة وآجلة، فمن العاجلة: حفظ المسألة وسلامته من الكذب وإظهار فهم ما لم يكن فهمه، واعتقاد الشيخ اعتناءه بالعلم ورغبته وكمال عقله وورعه ونصحه لنفسه، ومن الآجلة ثبوت الصواب في قلبه دائما "[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب الحياء في العلم ٦١/١ رقم (١٣١).

(٢) حديث صحيح سبق تخريجه في القاعدة الثالثة في الصفحة رقم (١٤).

(٣) فتح الباري لابن حجر ٢٢٩/١.

(٤) المعيد في أدب المفيد والمستفيد (ص: ١٥١).

ويجب أن ترفع الكُلفة بين المعلّم والمتعلم، حتى يستطيع المتعلم أن يسأل بحرية عما يعِنّ لَهُ من مشاكل ويطرأ أمامه من مسائل.

ويذهبُ علمُ النفس المعاصر إلى شبه هذا تماماً حيث يرى أن الطالب إذا حصل له مع أستاذه نوع من الرهبة والكلفة أثَّر ذلك سلباً في تعلّمه، وَرَفعُ الكلفة ليس معناه ترك التأدّب مع المعلمين، وخرق ستر الحياء مع العلماء.

ب- المذاكرة:

من الأمور التي تتوقف عليها عملية إعداد المتعلم، توجيهه إلى أهمية المذاكرة في إعداده العلمي، وما ينبغي أن يراعيه في ذلك، ليُحسن الأخذ ويجوّد التحصيل، وليكون تعلّمه قائماً على أساس سليم من الفهم والإدراك والاقتناع الذاتي، بعيدا عن التعصب أو التقليد الأعمى.

والمذاكرة بما يحفظهُ الانسان أو يقتنع به من مادة المفاعلة التي تقع بين طرفين أو أكثر، وقد تستعمل من طرف واحد إذا أريد بها معنى الكثرة في بذل الوسع في الحفظ والتذكر وتكون حينئذ مستعملة في غير بابها.

بل أكثر من هذا أن المذاكرة منهج نبوي، فعن عائشة رضي الله عنها عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت: «أَسَرَّ إلي رسول الله صلى الله عيه وسلم أن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي». (١)

والحفظ مرحلة تسبق المذاكرة، وهذا ما يشير إليه الإمام النووي رحمه الله حيث قال: "ويذاكر طالب العلم بمحفوظاته من يشتغل بالفن الذي يحفظ سواء كان

(١) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب علامة النبوة في الإسلام ١٣٢٦/٣ رقم (٣٤٢٦)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب: فضائل فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ١٩٠٤/٤ رقم (٢٤٥٠).

مثله في المرتبة -يعني العلم- أو فوقه، أو دونه فإن بالمذاكرة يثْبت المحفوظ ويتحرر ويتأكد ويتقرر ويزداد بحسب كثرة المذاكرة[١].

ومما يترتب على المذاكرة تجديد المادة العلمية في ذهن الطالب وتبسيط عمليات التذكر ولذلك قال أحد الطلاب لزميله عقب جلسة مذاكرة: "يرحمك الله فَرُبّ حديث أحييته في صدري كان قد مات"[٢]، وقال الرامهرمزي: "تذاكروا الحديث فإن الحديث يهيّج الحديث"[٣].

كما أن الحفظ والمذاكرة لهما أوقات ينبغي العناية بها والحرص عليها، قال أحمد بن الفرات: "لم نزل نسمع شيوخنا يذكرون أشياء في الحفظ، فأجمعوا على أنه ليس شيء أبلغ فيه إلا كثرة النظر، وحفظ الليل غالب على حفظ النهار"[٤].

وقال أبو حامد الغزالي رحمه الله: "يجب على المتعلم مواظبة الدرس والتكرار في أول الليل وآخره، فإن ما بين العشائين ووقت السحر هو وقت مبارك[٥].

وقال الخطيب البغدادي: "أجود أوقات الحفظ الأسمار ثم وسط النهار ثم الغداة". وقال أيضا: "وحفظ الليل أنفع من حفظ النهار". وأجود الأوقات للحفظ الأسمار وللبحث الأبكار، وللكتابة وسط النهار، وللمطالعة والمذاكرة الليل[٦].

والحفظ يستوجب الضبط وهو نوعان: ضبط صدر، وضبط كتاب، ولذلك أشار البخاري رحمه الله إلى أهمية الكتابة بقوله: في الباب التاسع والثلاثين من كتاب

---

(١) مقدمة المجموع شرح المهذب (٣٨/١).

(٢) الجامع للخطيب (٢٣٨/١).

(٣) المحدث الفاصل (ص: ٥٤٧).

(٤) الجامع للخطيب (٢٦٥/٢).

(٥) خصائص الفكر التربوي عند الغزالي. (ص: ٣٧٩)..

(٦) الفقيه والمتفقه (١٠٣/٢).

العلم: "باب كتابة العلم"، وذهب الحافظ ابن حجر إلى أنه لا يبعد وجوبه في حقِّ مَن يُخشى نسيانه ممن يتعين عليه تبليغ العلم[١].

وبالحفظ والمذاكرة لا يُكتسب العلم فقط، بل يتوصل بهما إلى الفهم، قال العيني: "تفسير الفهم بالعلم غير صحيح، لأن العلم عبارة عن الإدراك الكلي، والفهم جودة الذهن، والذهن قوة تقتنص الصور والمعاني، وتشمل الإدراكات العقلية والحسية"[٢].

وكلام العيني ناتج عن تأمل ما ذكره البخاري في الباب الرابع عشر من كتاب العلم: "الفهم في العلم".

وتظهر أهمية الفهم في أن صاحبه يدخل فيمن ذكرهم رسول الله ﷺ بقوله: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين». [٣]

ج- الخروج في طلب العلم:

إن الرحلة في طلب العلم مهمة جليلة، فلا غرو أن نجد القرآن الكريم يحث عليها إذ يقول الله عز وجل: {وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ}[٤].

وأهداف الرحلة بالأساس تربوية تعليمية ابتداء من عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي تتعلق إما بطلب العلم أو نشره عن طريق البعثات التعليمية.

---

(١) فتح الباري (١/٢٤٦).

(٢) عمدة القارئ (٢/ ص: ٧٣).

(٣) حديث صحيح سبق تخريجه في القاعدة الثالثة في الصفحة رقم (١٢).

(٤) سورة التوبة، الآية (١٢٢)

وقد نبه إلى على ضرورة السفر في طلب العلم الإمام الغزالي رحمه الله: لأن طالب العلم يكون أكثر تفرغا إذا بَعُدَ عن الشغل بالأهل والأوطان، فلا يكون أمامه إلا التفرغ للعلم، إما بحضور مجالس العلماء أو مطالعته الكتب(١).

وقد بلغ اهتمام العلماء بهذا الأمر إلى حد التأليف فيه، فقد صنف الحافظ أبو بكر الخطيب كتابا خصّه بأخبار من رحل في طلب حديث واحد سماهُ: " الرحلة في طلب الحديث"(٢).

ويمكن تلخيص الأهداف العلمية للرحلة في: طلب، وضبط، ونشر المعرفة.

٣- آدابه مع أقرانه:

يقول الله عز وجل: {وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ}(٣)، إن ما يتعلّمه الفرد بالتعاون مع غيره من الأفراد ومشاركتهم أنفع وأعلى قيمة ممّا يتعلمه بمفرده، نتيجة للنشاط الذي تحدثه المنافسة.

ومما هو جدير بالذكر أن الفرد يتعلم بمشاركة زملائه كيفية التعاون، بالإضافة إلى تعلم الدراسة "وتشجع التربيةُ التعاونَ أكثر من تشجيعها التنافس لا لأن ذلك يؤدي إلى زيادة فعالية التعلم، بل لأن هذا يؤدي إلى نتائج اجتماعية مرغوب فيها.

وفي هذا الإطار يمكن إدراج مفهوم "التعلم التعاوني" الذي هو شكل من أشكال التعلم الرمزي يشترط فيه أن يحدث التفاعل بين أفراد المجموعة بجميع أشكاله كالتآزر والتواصل والمسؤولية والمعالجة.

ولابد لقطف ثمار هذا التعاون من مصاحبة الرفقاء المعينين على طلب العلم وبالأخص المجتهدين منهم والحريصين على تحصيل المعرفة بشتى أنواعها.

---

(١) خصائص الفكر التربوي عند الغزالي (ص: ٣٨٠)

(٢) مطبوع في مجلد واحد. تحقيق الدكتور/ نور الدين عتر.

(٣) سورة المائدة، من الآية (٢).

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**المَرءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ» فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**)[١]. فالرفيق الحسن خير معين بعد توفيق الله على المثابرة لتحقيق الأهداف المرجوة سوية.

وعن ابن عباس ﷺ عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: (**كُنْتُ أَنَا وَجَارٌلِي مِنْ الْأَنْصَارِ، فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ، وَهِيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ، وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَنْزِلُ يَوْمًا وَ أَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ**) [٢].

فصنيع عمر وخليله رضي اللّه عنهما يبرز لنا معنى التعاون الحقيقي الذي أثمر حرص كل واحد منهما أن يبلغ أخاه ما فاته من العلم مع رسول الله ﷺ وهما بذلك يمتثلان أمر رسول اللّه ﷺ بتبليغ العلم حيث قال: (**أَلَا لِيُبَلِّغ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ**) [٣]. وقد يحصل أن يبلّغ الشاهد علماً -لم يفهمه جيدا- لزملائه فينتج عن هذا التبليغ تحريض للمبلِّغ مع زملائه ودفعهم إلى المناقشة في الآراء والأفكار وغيرها، مما يؤدي إلى اختلاف أو تعارض، الأمر الذي يضع الفرد موضع تساؤل فيراجع أفكاره ومعلوماته ليصل إلى استنتاجات جديدة تعيد بناء فهمه لما هو أعمق.

وهذا الفهم المستخلص من المناقشة هو الذي عناه رسول اللّه ﷺ بقوله: (**فَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ**) [٤].

---

(١) أخرجه: الترمذي في الجامع: كتاب الزهد ١٨٧/٤ رقم (٢٣٧٨) وقال حديث حسن غريب، وأحمد في المسند ١٤٢/١٤ رقم (٨٤١٧)، والحاكم في المستدرك: كتاب البر والصلة ١٨٩/٤ رقم (٧٣٢٠) وقال صحيح إن شاء الله تعالى، ووافقه الذهبي.

(٢) حديث صحيح سبق تخريجه في الصفحة رقم (٣٨).

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب ليبلّغ العلمَ الشاهدُ الغائب ٥٢/١ رقم (١٠٥).

(٤) جزء من حديث أخرجه البخاري: في كتاب الحج، باب الخطبة أيام منًى ٦٢٠/٢ رقم (١٦٥٤).

وطريقة المناقشة والمذاكرة هذه تفرز ظهور فوارقَ فردية بين المتعلمين، ترتفع في بعض الأحيان ببعض الطلبة إلى سلوك طريق الحسد تجاه المتفوقين، وهو طريق مذموم لأنه تمني ما عند الغير مع زواله منه، وإن كان ورد به الحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا ويعلمها**)[(١)].

قال الحافظ ابن حجر: "وأما الحسد المذكور في الحديث فهو الغبطة وأطلق الحسد عليه مجازاً" [(٢)].

فعلى طالب العلم أن يسلك مسلك الاغتباط وذلك بأن يتمنى أن يكون له مثل ما لزميله من نعمة التفوق العلمي دون أن يتمنى زوالها عنه. وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة ٣٩/١ رقم (٧٣)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها ٥٥٩/١ رقم (٨١٦).

(٢) فتح الباري (١٦٧/١).

المبحث الثاني
خصائص المنهج النبوي وقيمته المعرفية.

المطلب الأول

خصائص التعليم والتعلم من خلال منهج النبوة:

إن لطريقة المصطفى ﷺ في التعليم خصائص ومميزات تختص بها عن سائر الطرق الأخرى الوضعية. ونجد أن هذه الخصائص هي نفس خصائص الإسلام، لأن الإسلام كل لا يتجزأ.

ونذكر هنا بعض خصائص منهج النبوي الشريف في التعليم:

- ربانية المصدر:

إن رسول الله ﷺ اصطفاه الله سبحانه وتعالى وأرسله للناس كافة بشيراً ونذيراً ليخرجهم من الظلمات إلى النور، فرسالته كلها تعليم وتربية وتأديب. قال تعالى: {لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ}(١)، فمنهج المصطفى ﷺ في التعليم سائر وفق الوحي، ومن هنا تبرز أهميته لأنه مستقى من تعاليم الله سبحانه وتعالى المدبر الحكيم الذي يعلم ما في الأنفس وما تخفي الصدور، ويعلم طبيعة هذه النفس وما يصلح لها في الحال والمآل. قال تعالى: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ}(٢).

هذه النفحة الإلهية والعناية الربانية شيء تفتقر له المناهج والنظريات الوضعية لأنها من صنع الإنسان المتصف بالقصور وتدخل الأهواء وضيق الأفق.

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١٦٤).

(٢) سورة الملك، الآية (١٤).

إن الفرق بين ما هو رباني وما هو وضعي إنساني هو نفس الفرق بين الخالق والمخلوق، وبين القادر والعاجز، إن جاز لنا أن نفرق. ولعل هذه الخصيصة التي هي ربانية المصدر تنبثق منها سائر الخصائص الأخرى لأن هذا المنهج ما دام رباني فلن ترقى إليه المناهج الأخرى في أية ناحية من نواحيه.

- الشمولية والتوازن:

المنهج النبوي يشمل الإنسان في مختلف نواحيه المادية والمعنوية وفي حياته الدنيوية والأخروية، ويجيب عن تساؤلاته في عالم الغيب والشهادة، فهو ينظر إلى الإنسان نضرة متوازنة شاملة، يعامله باعتبار أنه نفخة من روح الله وباعتبار أنه خلق من طين، فالروح لها حظها والمادة كذلك في شمولية واتزان.

قد يبدو أن هذا المنهج يفقد اتزانه في تركيزه على الروح أكثر من الجسد، وعلى الدار الآخرة أكثر من الدنيا، لكن في الحقيقة هذا عين التوازن لأن الدنيا زائلة فانية، والآخرة باقية خالدة وإعمار الخالدة. أولى من الزائلة. والروح هي المحرك للجسد، وهي القوى الدافعة له. فبتغذيتها يسمو الجسد ويتحرر ويندفع نحو البناء والتعمير.

كما نجد هذا المنهج يجيب عن المسائل الغيبية أو ما يسمى في المناهج الغربية بما وراء الطبيعة وعن الغاية من الخلق، وعن مصير الإنسان بعد الموت... هذا الجانب نجد المناهج الوضعية تهمله، وإذا دَخلت فيه لا تستطيع الخروج من متاهاته، وهذا خلل في هذه المناهج لأنها تضخم الجانب المادي وتغفل الجانب الروحي.

- الثبات والمرونة:

استفدنا من المنهج التعليمي النبوي أسساً عامة ومبادئ كلية ثابتة لا يمكن أن تتغير بتغير الزمان والمكان، مثل ضرورة التعلّم، والتدرج فيه والرفق بالمتعلّم...إلخ. وهذه مبادئ لا يمكن إلغاؤها ولا تغيرها، لكن الذي يتغير هو كيفية تطبيق هذه

المبادئ، أو ما يسمّى بفقه التنزيل حسب التطورات. وهذا ما يعطي لهذه الأسس صفة المرونة إلى جانب صفة ثبات أصولها. وهذا شيء تفتقر له النظريات الوضعية فهي ليست ثابتة الأصول إذ إنها تتغير بتغير الأزمنة والأمكنة وبحسب تغير رؤية المنظرين لها حسب التوجه، وحسب المصلحة الآنية.

- ربط العلم بالعمل:

الله سبحانه وتعالى مدح العلم وأهله، وأمر رسوله ﷺ في أول آية أنزلت عليه بالقراءة. والمصطفى ﷺ جعل طلب العلم فريضة، فطلب العلم في حد ذاته عبادة، وهو مهم لأن به يفهم الإنسان ليميز الصواب من الخطأ. لكن الدين الإسلامي جعل العلم وسيلة للعمل، وذم الذين لا يعملون بما يعلمون. فهو بذلك ربط النظري بالتطبيقي، والرواية بالدراية، والقراءة بالتدبر والفهم، والفهم بالعمل. كما جعل العمل غير المبني على العلم الصحيح غير مقبول. فهو بذلك حافظ على العلم، وجعل حياة المرء كلها علم، لأنه قبل أن يقدم على أي عمل لابد أن يعلم حكم الله فيه.

- عالمية الرسالة:

الإسلام رسالة عالمية ليست في ملك أحد ولا حكراً على أناس دون آخرين، وكذلك العلم في الإسلام.

والله سبحانه وتعالى أمر المسلم أن يحسن إلى جميع الناس لأنه سبحانه وتعالى كرم بني آدم. كما أمر بتبليغ هذا الدين حتى يصل إلى الناس جميعاً، فهو بذلك جعله مشاعاً بين الناس بل أكثر من هذا توعد أشد الوعيد الذين يكتمون العلم قال تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ

ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ }[١]، وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: (**مَن سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ، فكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ الله بِلِجامٍ من نارٍ يومَ القيامة**)[٢]، فهو بذلك ينتج أناساً يعودون بالنفع على البشرية جمعاء بل على الكون كله.

(١) سورة البقرة، الآية (١٥٩).

(٢) أخرجه: أبو داود في السنن: كتاب العلم، باب كراهية منع العلم ٣٢١/٣ رقم (٣٦٥٨)، وأحمد ٢٨٤/١٤ رقم (٨٦٣٨)، والحاكم في المستدرك: كتاب العلم ١/ ١٨٢ رقم (٣٤٦). وقال: هذا إسناد صحيح من حديث المصريين على شرط الشيخين وليس له علة، ووافقه الذهبي.

المطلب الثاني

القيمة المعرفية لقواعد التعليم من خلال السنة النبوية.

بعث رسول الله ﷺ والبشرية وصلت إلى ذروة الانحطاط والجاهلية، بعث في العرب الذين ظهرت فيهم أسمى أنواع الجهل؛ من عبادة الأحجار، واستعباد الناس، ووأد البنات وسفك الدماء، والظلم وأكل أموال الناس بالباطل، وغلبة القوي للضعيف، والجري وراء الغرائز والشهوات... إلى غير ذلك من الرذائل أو ما سماه القرآن بالضلال المبين.

كل هذا استقر في الأذهان مع مر السنين حتى صار سجية وطبعاً لهم، بل صارت الجهالات عقائد ومقدسات لا يستطيع أحد أن يناقش فيها بله أن يغيرها.

بعث رسول رب العالمين -وسط هذه الجاهلية التي بلغت ذروتها- ومهمته عليه الصلاة والسلام البيان، والتعليم، والتزكية، والتغير، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور. وأن يبين لهم الدين الحق ويهدم الباطل ويصحح المعتقدات والعادات. قال تعالى: {هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ}[1].

تُرى في ظل النظم الحديثة كم يلزم من السنين، ومن المعلمين والمربيين، ومن النظريات، ومن الموارد لتغيير مثل هذا الوضع ولإصلاح مثل هذه الانحرافات المتراكمة ظلمات بعضها فوق بعض؟!

لابد أن الجواب العلمي الواقعي سيفترض سنين كثيرة، وجهوداً كبيرة، ونظريات متطورة، وإمدادات هائلة. لكن الرسول المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه بعث لوحده بلا نظريات، ولا استعدادات قبلية، ولا غير ذلك. ولكنه بعث باصطفاء إلهي

(١) سورة الجمعة، الآية (٢).

وعناية ربانية. كان مدده وسنده الوحي، فظل يدعو الناس ويذكرهم ويبشرهم وينذرهم ويعلمهم ويزكيهم. بمنهج تعليمي تكلمنا على بعض قواعده وخصائصه في هذا البحث المتواضع.

فاستطاع النبي ﷺ في ظرف ثلاث وعشرين سنة أن يخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن الضلالة إلى الهدى، ومن الجهل إلى العلم، بعد أن كان القوي منهم يظلم الضعيف، والغني يستعبد الفقير فصاروا قمة في الأخلاق الحسنة، وفي التعاون والإيثار. قال الحق سبحانه وتعالى: {وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ}[1]، وأضحوا يحرصون على العلم والتعلّم، لا يفوّتون مجلس رسول الله ﷺ بل إنْ شَغلهم المعاشُ، تناوبوا في حضور مجلسه صلى الله عليه وسلم، وبلّغ الشاهدُ منهم الغائب. من هذه التحولات التي أحدثها رسول الله ﷺ في هذه المدة اليسيرة، تظهر قوة وقيمة المنهج النبوي.

(١) سورة الحشر، الآية (٩).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ورحمة الله للناس أجمعين سيدنا محمد عليه وعلى آل بيته واصحابه ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

أما بعد

فاختم هذا البحث بأهم النتائج والتوصيات المستفادة منه:

أولا النتائج:

- القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة اشتملا على قواعد واصول العملية التعليمة، وكذلك أسس الحضارة، مما يمكن من اخذ بها من الوصول لدرجات المجد العلا.

- المنهج النبوي في التعليم منهج مكتمل الأركان لا يماثله منهج آخر، وذلك أن قواعده مستقاة من الوحي.

- صلاح المنهج التعليمي في الإسلامي لكل زمان ومكان لمراعاته أحوال الناس.

- ثابت المبادئ ومرونة القواعد والأصول تعطى قوة لمنهج التعليم في الإسلامي مما لا يتوفر لغيره من المناهج الغربية.

- منهج التعليم في الإسلام قادر على تحقيق نهضة حضارية شاملة للأمة، كما تمكن هذا المنهج من النهوض بهذا الجيل الرائد من الصحابة ومن بعدهم من التابعين.

- اشتمال المنهج الإسلامي على ما يشبع الجانب الروحي للحياة بخلاف المناهج المستوردة التي لا تهتم إلا بالجانب المادي فقط.

ثانياً: التوصيات.

- أولى التوصيات هي على الأمة في المجموع العودة إلى منهج الله سبحانه وتعالى الذي انزله لعبادة لصلاح أحوالهم.

- أوصى القائمين على التعليم في الأمة بالأخذ بمنهج النبي صلى الله عليه وسلم في التعليم وعدم الاعتماد على مناهج مستوردة تهمل كثير من الجوانب.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

- أدب الإملاء والاستملاء: السمعاني عبد الكريم بن محمد (ت ٥هـ) تحقيق عبد الرحمن المعلمي بيروت.

- أدب الدنيا والدين: أبو الحسن علي بن محمد حبيب البصري الماوردي (ت٤٥٠هـ). تحقيق مصطفى السقا، بيروت. دار الكتب العلمية. الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

- أسد الغابة في معرفة الصحابة: عز الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) دار الكتب العلمية ١٤١٥هـ

- تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم المتعلم: ابن جماعة بدر الدين بن إبراهيم (ت٧٣٣هـ). دار الكتب العلمية، بيروت.

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) مكتبة السعادة. مصر ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م

- جامع العلوم والحكم: ابن رجب عبد الرحمن (ت٧٩٥هـ). دار الفكر ١٩٩٢هـ.

- جامع بيان العلم وفضله: يوسف بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) المطبعة المنيرية. القاهرة.

- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) تحقيق محمود الطحان. دار المعارف الرياض.

- سنن أبي داود. سليمان بن الأشعث (ت٢٧٥هـ) تحقيق محيي الدين عبد الحميد. دار الفكر.

- سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٥هـ) إشراف: عبد الوهاب عبد اللطيف ومعه تحفة الأحوذي. دار الفكر.

- سنن ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني (٢٠٩ - ٢٧٣ هـ) دار الرسالة العالمية ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

- سير أعلام النبلاء الذهبي محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ). دار الرسالة ١٤١٠هـ/

١٩٩٠م.

- السنن الكبرى: البيهقي أحمد بن الحسن (ت٤٥٨هـ) تحقيق محمد عبد القادر عطا. مكتبة دار الباز مكة المكرمة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

- السنن الكبرى: النسائي أحمد بن شعيب (ت٣٠٣هـ) تحقيق عبد الغفار البنداري وسيد كسروي حسن دار الكتب العلمية ط ١٤١١هـ/١٩٩١م.

- السيرة النبوية: لابن هشام (ت ٢١٣هـ) مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٧٥هـ م

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: أبو عمر بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) دار الجيل، بيروت ١٤١٢ هـ

- شرح ابن بطال: علي بن خلف ابن بطال (ت ٤٤٩ هـ). دار الكتب العلمية.

- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: الطيبي الحسين بن عبد الله (ت٧٤٣هـ) تحقيق عبد الحميد هنداوي مكتبة نزار مصطفى الباز الرياض ط١ ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

- صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦) تحقيق د مصطفى ديب البغا، دار اليمامة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

- صحيح مسلم: مسلم بن حجاج (ت ٢٦١هـ) تحقيق فؤاد عبد الباقي دار إحياء الكتب العربية.

- صفة الصفوة: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ) دار الحديث، القاهرة، مصر ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م

- الإصابة في تمييز الصحابة: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٥هـ.

- الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمد بن سعد (ت ٢٣٠) دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٠هـ

- عمدة القاري شرح صحيح البخاري: بدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت٨٥٥هـ) إشراف صدقي جميل العطار. دار الفكر ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

- غريب الحديث: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب المعروف بالخطابي (ت ٣٨٨ هـ) دار الفكر – دمشق ١٤٠٢ هـ

- غريب الحديث: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) مطبعة العاني – بغداد ١٣٩٧هـ

- فتح المغيث شرح ألفية الحديث: السخاوي محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ) دار الكتب العلمية بيروت ط ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢هـ) دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

- الفقيه والمتفقه: احمد بن علي ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) دار ابن الجوزي ١٤٢١.

- كتاب العلم وآداب العالم والمتعلم: للنووي يحيى بن شرف ٦٧٦هـ. تحقيق عبد الله بدران. دار الخير ١٩٩٣م.

- الإلماع عن أصول الرواية وتقييد السماع القاضي عياض بن موسى السبتي. (ت٥٤٤هـ). تحقيق أحمد صقر دار التراث بمصر ١٣٩٨هـ.

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: الهيثمي علي بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ) دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي القاهرة بيروت ١٤٠٧هـ.

- مسند أبي يعلى أحمد بن علي الموصلي (ت٣٠٧هـ). تحقيق حسين سليم أسد. دار المأمون للتراث دمشق ط ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

- مسند الإمام أحمد: أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) طبعة الرسالة ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

- من أدب المحدثين في التربية والتعليم الدكتور أحمد محمد نور سيف درا البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث دبي ط١ ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

- المجموع شرح المهذب للشيرازي / النووي يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ). مصورة دار الفكر.

- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي: الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي

(ت٣٦٠هـ). تحقيق: د. محمد عجاج الخطيب. ط٣. دار الفكر ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

- المرأة بين الفقه والقانون. مصطفى السباعي. دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت ١٤٢٠هـ

- المستدرك على الصحيحين الحاكم محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥هـ) إشراف يوسف مرعشي دار المعرفة بيروت.

- المعجم الكبير: الطبراني سليمان بن أحمد (ت٣٦٠هـ) تحقيق حمدي بن عبد المجيد. مكتبة العلوم والحكم. الموصل ط ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٣٩٢هـ.

- النهاية في الفتن والملاحم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) دار الجيل، بيروت – لبنان ١٤٠٨هـ

- النهاية في غريب الحديث: والأثر ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م